

في هذا العدد:

- النموذج المعياري لآية ﴿ادْفَعْ بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فُصِّلَتْ: ٣٤) وتطبيقاته في نزاهة القرار التأديبي في اللجان الإدارية
نجم عبد الودود نعمة الجزائري
- الأبعاد الإيمانية والتربوية والنفسية لمعرفة الله تعالى من خلال النعم الإلهية الممهدة لوجود الإنسان: دراسة موضوعية
موزه سلطان عدیل الجابري، عبد العالي باي ركوب، يوسف محمد محمد عبده محمد
- الدخيل بالرواية عند الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره لسورة البقرة: دراسة تحليلية نقدية
الزهران، المتولي علي الشحات
- دلالة المصطلحات النقدية على ردّ القراءات عند أئمة القراءات المتقدمين: دراسة تحليلية مقارنة
أميمة بنت عبد الرحمن عبد القادر حلي
- منهج التعامل مع الآيات الكونية في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية تطبيقية
فرح فاضلة، السيد سيد أحمد محمد نجم
- بعض تعقبات ابن حجر والباقعي على الحافظ العراقي في كتابيه التقييد والإيضاح وشرح التبصرة والتذكرة المتعلقة بالحكم على الحديث (التصحيح والتضعيف) جمعا ودراسة
محمد كبير لول غربا، مهدي عبدالعزيز
- الأحاديث الحسان في صحيح ابن حبان من بداية "ذكر الاباحه للنساء أن يخرجن الى الصحاري للبراز إلى آخر قوله ذكر ما يستحب للمرء ان يسأل الله جل وعلا المغفرة": دراسة تحليلية
محمد الدين مجدلاوي، مهدي عبدالعزيز
- منهج الفاروق في التعامل مع الطاعون: دراسة تحليلية
جواد أحمد أحمد القاضي، إبراهيم محمد البيومي
- الانحرافات العقدية في الفرضيات الفيزيائية والكونية: دعوى تأثير القمر أمودجا
أحمد ماهر مجدي مهاني
- نازلة الأوراق النقدية في فقه الشيخ عبد الرحمن السعدي: دراسة في اجتهاده ومنهجه
فهد بن عبد اللطيف بن فهد الوصيفر، خالد حمدي عبد الكريم
- المصلحة المغمورة والمفسدة التابعة وأثرهما في بناء الحكم الشرعي عند الأصوليين: دراسة تأصيلية تطبيقية
السالك فال المين سيد أحمد النكه
- المصطلحات الأصولية المتعلقة بالحكم التكليفي في بابي الواجب والمندوب عند الإمام القرافي من خلال كتابه أنوار البروق في أنوار الفروق
ذكوري جيكي، عبد الرحمن عبد الحميد محمد حسنين
- القواعد الأصولية عند الإمام أبي يعلى الخنبلي رحمه الله (ت 458 هـ) وتطبيقاتها في الفروع الفقهية: دراسة تحليلية مقارنة (حروف المعاني نموذجاً)
سيد محمد صالح حسيني قتالي، حساني محمد نور
- العنف الأسري بين الفقه الإسلامي والقانون الاسترالي: دراسة فقهية مقارنة
منى باركن، علي العائدي
- القيم الخلقية اللازمة تضمينها في كتب التربية الإسلامية لطلبة المرحلة الإعدادية بدولة قطر: إطار نظري وبناء قائمة معيارية
جدوى محمد علي البطر، أمل محمود
- اكتساب الجنس اللغوي لدى متعلمي العربية لغة ثانية من الناطقين باليوربا: دراسة تطبيقية
شيت اجاني اوغاورو، ماجد الحمد



DOI: <https://doi.org/10.63226/iisj.v10si1.6115>

الأبعاد الإيمانية والتربوية والنفسية لمعرفة الله تعالى من خلال النعم الإلهية الممهّدة لوجود الإنسان: دراسة موضوعية

[The Faith, Educational, and Psychological Dimensions of Knowing Allah through the Divine Blessings Preceding Human Creation: A Thematic Study]

Mouza Sultan Adeal AL Jabri¹, Abdelali Bey Zekkoub² Yousef Mohammed Abdo Mohammed³

¹ PhD in Tafsir and 'Ulum Al-Quran in Faculty of Islamic Sceinces, Al-Madinah International University.

² Associate Professor in Faculty of Islamic Sceinces, Al-Madinah International University, 57100, Taman Desa petaling, Kuala Lumpur, Malaysia.

³ Professor in Faculty of Islamic Sceinces, Al-Madinah International University, 57100, Taman Desa petaling, Kuala Lumpur, Malaysia. .

* Corresponding Author: om.shmma2@gmail.com

الملخص

في ظل ما يشهده الإنسان المعاصر من أزمت فكرية واضطرابات نفسية وضعف في المنظومة القيمية، تبرز الحاجة إلى إعادة بناء الوعي الإيماني القائم على معرفة الله تعالى المعرفة المؤثرة في الفكر والسلوك. وتتناول هذه الدراسة الأبعاد الإيمانية والتربوية والنفسية لمعرفة الله تعالى من خلال النعم الإلهية الممهّدة لوجود الإنسان، بهدف الكشف عن أثر استحضار هذه النعم في تعزيز الإيمان، وبناء الشخصية المسلمة المتوازنة. واعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائي لتتبع الآيات القرآنية المتعلقة بالنعم الإلهية السابقة لوجود الإنسان، والمنهج التحليلي لدراسة دلالاتها، والمنهج الاستنباطي لاستخراج هداياتها الإيمانية والتربوية والنفسية. وقد توصلت الدراسة إلى أن التأمل في هذه النعم يسهم في ترسيخ التوحيد واليقين، وتعظيم الله تعالى ومحبته وخشيته، وتحقيق التوكل والشكر وحلاوة العبادة والبصيرة، كما يسهم في بناء تصور صحيح عن الله تعالى، وربط العقيدة بالسلوك، وتنمية مراقبة الله، وتركيز النفس، وتهذيب الأخلاق، وتعزيز قيم العدل والمسؤولية الاجتماعية. كما أظهرت الدراسة أن معرفة الله تعالى من خلال هذه النعم تحقق آثارًا نفسية مهمة، تتمثل في الطمأنينة القلبية، والأمن النفسي، وإدراك معنى الوجود وغاية الحياة، وتحقيق التوازن بين الخوف والرجاء، وتقوية الصبر والمرونة النفسية، والتحرر من التعلق المفرط بالخلق. وتؤكد الدراسة أن استحضار النعم الإلهية الممهّدة لوجود الإنسان يمثل مدخلًا قرآنيًا أصيلًا لإعادة بناء الإنسان المتوازن إيمانًا وتربويًا ونفسيًا، وتوصي بتفعيل هذه المعاني ضمن الدراسات والمناهج التربوية الإسلامية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: معرفة الله تعالى، النعم الإلهية، التوحيد، الهدايات القرآنية، التربية الإيمانية، الأمن النفسي.

ABSTRACT

. In light of the intellectual challenges, psychological disturbances, and weakening of value systems experienced by contemporary humanity, there is an urgent need to restore faith-based awareness grounded in a meaningful knowledge of Allah that influences thought and behavior. This study examines the faith-based, educational, and psychological dimensions of knowing Allah through the divine blessings that preceded human existence, aiming to reveal the impact of reflecting on these blessings in strengthening faith and building a balanced Muslim personality. The study adopts an inductive approach to trace the Qur'anic verses related to the divine blessings that preceded human creation, an analytical approach to examine their meanings and implications, and a deductive approach to derive their faith-based, educational, and psychological guidance. The findings reveal that contemplating these blessings contributes to establishing monotheism and certainty, fostering the glorification and love of Allah, developing consciousness of His presence, strengthening true reliance upon Him, cultivating gratitude, and achieving the sweetness of worship and spiritual insight. The study also demonstrates that knowing Allah provides an educational foundation for developing a correct conception of the Creator, connecting faith with behavior, nurturing self-accountability before Allah, purifying the soul, refining moral character, and promoting values of justice and social responsibility. Furthermore, the study highlights the significant psychological effects of knowing Allah through these blessings, including inner tranquility, psychological security, awareness of the meaning and purpose of existence, emotional balance between fear and hope, enhanced patience and psychological resilience, and freedom from excessive dependence on human beings. The study concludes that reflecting on the divine blessings that preceded human existence represents an authentic Qur'anic approach for developing a balanced human personality in terms of faith, education, and psychological well-being. It recommends integrating these meanings into contemporary Islamic educational studies and curricula..

Keyword: *Knowledge of Allah, Divine Blessings, Tawhīd (Monotheism), Qur'anic Guidance, Faith-Based Education, Psychological Well-Being.*

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام وعلى من لا نبي بعده، وبعد،

تُعَدُّ معرفة الله تعالى الغاية العظمى التي خُلق الإنسان من أجلها، والأساس الذي تقوم عليه العقيدة الصحيحة والتربية الإيمانية الراشدة؛ إذ كلما ازداد العبد معرفةً بربه، ازداد إيماناً به، وتعظيماً له، واستقامةً على أمره، وانعكس ذلك على سلوكه وأخلاقه وتوازنه النفسي. ومن أعظم السبل الموصلة إلى هذه المعرفة التأمل في النعم الإلهية التي مهّدت لوجود الإنسان قبل خلقه، والتي تكشف عن كمال قدرة الله تعالى، وسعة علمه، وعظيم حكمته، وإحكام تدبيره للكون، بما يعمق الإيمان بالغيب، ويزيد اليقين بعظمة الخالق سبحانه. وعلى الرغم من اهتمام الدراسات القرآنية والعقدية ببيان دلائل التوحيد وأسماء الله تعالى وصفاته، فإن الدراسات التي تناولت النعم الإلهية الممهّدة لوجود الإنسان بوصفها مدخلاً لتعميق معرفة الله تعالى، والكشف عن أبعادها الإيمانية والتربوية والنفسية، لا تزال محدودة. وانطلاقاً من ذلك، يهدف هذا البحث إلى بيان الأبعاد الإيمانية والتربوية والنفسية لمعرفة الله تعالى من خلال النعم الإلهية الممهّدة لوجود الإنسان، واستنباط الهدايات القرآنية الكامنة فيها، والكشف عن أثرها في تعميق الإيمان، وتركيب النفس، وبناء الشخصية المسلمة المتوازنة، بما يسهم في إثراء الدراسات القرآنية والتربوية، ويقدم رؤية علمية يمكن الاستفادة منها في ميادين التربية الإسلامية، والدعوة، والإرشاد النفسي، وبناء الوعي الإيماني في المجتمعات المعاصرة في ضوء التدبّر المثمر لكتاب الله تعالى¹، مع الاستعانة بالله تعالى والتوكّل عليه لتحقيق نتائج إيجابية تعزّز من مكانة هذا البحث، وتضمن استمرارية فائدته العلمية².

مشكلة البحث

تُعَدُّ معرفة الله تعالى الركيزة الأساسية في بناء العقيدة الإسلامية، والمنطلق الرئيس في تحقيق التربية الإيمانية المتوازنة، إلا أن كثيراً من الدراسات القرآنية والعقدية تناولت هذه المعرفة من خلال آيات التوحيد، والأسماء والصفات، ودلائل القدرة، في حين لم تحظْ النعم الإلهية التي سبقت خلق الإنسان بالعناية الكافية بوصفها مدخلاً قرآنياً لتعميق معرفة الله تعالى وترسيخ آثارها الإيمانية والتربوية والنفسية. كما أن الدراسات التي تناولت هذه النعم انصرفت في الغالب إلى بيان جوانبها العقدية أو التفسيرية، دون الكشف عن أبعادها التربوية والنفسية، أو بيان أثرها في بناء الشخصية المسلمة، وتعزيز اليقين بالله تعالى، وتحقيق الطمأنينة النفسية، وتقويم السلوك في ضوء الهدايات القرآنية. وقد أدى ذلك إلى وجود فجوة معرفية تتمثل في غياب دراسة موضوعية شاملة تستقرئ الآيات المتعلقة بالنعم الإلهية التي سبقت خلق الإنسان، وتكشف عن دورها في تعميق معرفة الله تعالى، واستنباط أبعادها

1 باي زكوب، عبد العالي، حُطُوات أساسية نحو تدبّر أنفع لكتاب الله عزّ وجلّ: دراسة موضوعية تحليلية، ص 1-44.

2 باي زكوب، عبد العالي، آداب التوكّل على الله تعالى في كتابة البحث العلمي: دراسة قرآنية لغوية موضوعية، ص 705-724.

الإيمانية والتربوية والنفسية، وإبراز إمكانية توظيفها في بناء الإنسان إيمانًا وتربويًا في ظل ما يشهده العصر من تحديات فكرية، وأزمات نفسية، وتراجع في منظومة القيم. ومن هنا جاءت هذه الدراسة لمعالجة هذه الفجوة، من خلال بيان الأبعاد الإيمانية والتربوية والنفسية لمعرفة الله تعالى المستنبطة من النعم التي سبقت خلق الإنسان، في إطار دراسة موضوعية تستند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، بما يسهم في إثراء الدراسات القرآنية والتربوية، وتعزيز البناء الإيماني للإنسان، وتكمن مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي: ما الأبعاد الإيمانية والتربوية والنفسية لمعرفة الله تعالى من خلال النعم التي سبقت خلق الإنسان؟

أهداف البحث

1. بيان الأبعاد الإيمانية لمعرفة الله تعالى من خلال النعم التي سبقت خلق الإنسان.
2. استنباط الأبعاد التربوية لمعرفة الله تعالى من خلال النعم التي سبقت خلق الإنسان.
3. الكشف عن الأبعاد النفسية لمعرفة الله تعالى من خلال النعم التي سبقت خلق الإنسان.
4. إبراز أثر معرفة الله تعالى من خلال هذه النعم في بناء الشخصية المسلمة وتعزيز التربية الإيمانية.

أهمية البحث

1. أن يدرك الإنسان عامة والمؤمن خاصة أن إحسان الخالق له لم يقتصر على مراحل خلقه وبعد الخلق وبعد الموت وإنما كان سابقا لخلقهم بما اختصه به، وفضله على بقية المخلوقات.
2. أن يدرك الإنسان أهميته في الكون؛ إذ خلق الله تعالى له الكثير من المخلوقات في السماء والأرض وما بينهما؛ وسخر له الكثير من هذه المخلوقات؛ ليهيئ له الحياة على الأرض.
3. الوقوف على الآثار الإيمانية، والنفسية، والتربوية لهذه النعم على سلوك الفرد والمجتمع.
4. المساهمة في البناء التربوي الرباني لغرس الأفكار والسلوكيات التي تحقق القوة الإيمانية لدى المؤمن، والتي تقوده إلى الحياة الكريمة في الدنيا والفوز بالجنة، وتهدب سلوكه الإنساني وتحقق الأهداف التربوية والأخلاقية الإسلامية السامية، والسلوكيات التي من شأنها أن تنمي الشعور بالامتنان والفضل للخالق بما أنعم من نعم سبقت خلق الإنسان وامتدت معه إلى خلوده في النعيم المقيم.

منهج البحث

اعتمد الباحثون في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي^[1] لتتبع الآيات القرآنية والنصوص الشرعية المتعلقة بالنعم التي سبقت خلق الإنسان، وجمع أقوال المفسرين والعلماء ذات الصلة بموضوع الدراسة. كما اعتمدوا المنهج التحليلي^[2] في تحليل الآيات القرآنية وأقوال المفسرين؛ للكشف عن دلالاتها العقدية والتربوية والنفسية، وبيان أثرها في تعميق معرفة الله تعالى. كذلك وظف الباحثون المنهج الاستنباطي^[3] لاستنباط الأبعاد الإيمانية والتربوية والنفسية المستفادة من هذه النعم، وإبراز أثرها في بناء الشخصية المسلمة وتعزيز التربية الإيمانية.

الدراسات السابقة:

وبعد البحث والتحري فقد وجدت عدة دراسات وأبحاث تناولت نعم الله التي سبقت خلق الإنسان، وما لهذه النعم من هدايات تربوية، ومن هذه الدراسات ما يلي:

أولاً: دراسة بعنوان "التربية بالنعم في ضوء سورة الأنعام؛ الحمد أنموذجاً: دراسة موضوعية" للباحثة سناء عدنان بدر البطري، مجلة البحوث الإسلامية، 7(57)، 113-149 مصر سنة، 2020م.

هدفت الدراسة إلى بيان مفهوم التربية بالنعم، وإبراز أثر استشعار نعم الله تعالى في بناء العقيدة والسلوك من خلال سورة الأنعام، واعتمدت المنهج الوصفي والتحليلي. وتوصلت إلى أن القرآن الكريم يستخدم النعم وسيلة تربوية لتعريف الإنسان بربه، وأن التربية بالنعم تسهم في ترسيخ التوحيد وتعميق معاني الحمد والشكر. وتتفق هذه الدراسة مع البحث الحالي في تناول التربية من خلال النعم الإلهية وبيان آثارها العقدية والتربوية، إلا أنها اقتصرَت على النعم الواردة في سورة الأنعام، بينما يتناول البحث الحالي نعمة معرفة الله تعالى من خلال النعم الممهدة لوجود الإنسان في القرآن الكريم بصورة أوسع. وتفيد الدراسة الحالية منها في توظيف مفهوم التربية بالنعم واستثمارها في بناء الشخصية المسلمة.

1 المنهج الاستقرائي: هو تتبع والاستقصاء الدقيق في جمع جميع الحقائق الجزئية المتصلة بالبحث للوصول من خلالها إلى حقائق كلية. ضيف، شوقي، البحث الأدبي طبيعته ومناهجه وأصوله ومصادره، ط7، ص37.

2 المنهج الاستقرائي: هو تتبع والاستقصاء الدقيق في جمع جميع الحقائق الجزئية المتصلة بالبحث للوصول من خلالها إلى حقائق كلية. ضيف، شوقي، البحث الأدبي طبيعته ومناهجه وأصوله ومصادره، ط7، ص37.

3 المنهج الاستنباطي: هو عملية فحص الجزئيات البحثية ويقوم الباحث بتدوين ما يستنبطه من خصائص وصفات كلية مستعينة ببيان الأسباب والدوافع والغايات، والنوازع. ضيف، شوقي، البحث الأدبي طبيعته ومناهجه وأصوله ومصادره، ط7، ص44.

ثانياً: دراسة عوض، سعيد عبد العظيم، 2019 بعنوان: الهدايات التربوية في آيات القرآن الكريم المتعلقة بخلق الإنسان، وهو بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد، 122.

تناولت الدراسة الهدايات التربوية المستنبطة من آيات خلق الإنسان، مثل خلق آدم عليه السلام، وتعليمه الأسماء، وتسوية خلقه، ونفخ الروح فيه، مع بيان ما تحمله هذه الآيات من دلالات تربوية. وأظهرت النتائج أن آيات خلق الإنسان تتضمن دروساً في تكريم الإنسان، والتواضع، وتحقيق العبودية لله تعالى، وبناء الشخصية المتوازنة.

وتلتقي هذه الدراسة مع البحث الحالي في الاهتمام بالهدايات التربوية المستنبطة من آيات الخلق، إلا أنها ركزت على مراحل خلق الإنسان، بينما يركز البحث الحالي على النعم الإلهية السابقة لوجود الإنسان ودورها في معرفة الله تعالى وبناء الأبعاد الإيمانية والتربوية والنفسية.

ثالثاً: دراسة عبد الرحمن، إبراهيم بن صالح، 2010، دراسة بعنوان: خلق السماوات والأرض في القرآن الكريم – دراسة موضوعية وهي رسالة ماجستير في جامعة أم القرى.

تناولت الدراسة آيات خلق السماوات والأرض، وبيّنت دلالاتها العقدية والتفسيرية، خاصة ما يتعلق بعظمة الخالق ووحدانيته وتدييره للكون، واعتمدت المنهج الموضوعي في تحليل الآيات. ومن أبرز نتائجها أن خلق السماوات والأرض من أعظم الأدلة على التوحيد، وأن تكرار ذكرها في القرآن يحمل دلالات عقدية وبلاغية متعددة.

وتتفق هذه الدراسة مع البحث الحالي في تناول بعض النعم الكونية السابقة لوجود الإنسان، وإبراز دلالاتها على عظمة الله تعالى، إلا أنها ركزت على الجانب التفسيري والعقدي، بينما يركز البحث الحالي على استنباط الأبعاد الإيمانية والتربوية والنفسية لمعرفة الله تعالى من خلال هذه النعم.

التعقيب على الدراسات السابقة:

يتضح من خلال استعراض الدراسات السابقة أنها تناولت موضوع النعم الإلهية من جوانب متعددة؛ كبيان مفهوم النعمة، أو مظاهرها في القرآن الكريم، أو آثارها العقدية والتربوية، إلا أن أغلبها لم يتناول بصورة مستقلة ومتكاملة أثر النعم الإلهية الممهدة لوجود الإنسان في بناء معرفة الله تعالى وانعكاساتها الإيمانية والتربوية والنفسية. ومن هنا تتميز الدراسة الحالية بمحاولتها سد هذه الفجوة من خلال جمع هذه الأبعاد الثلاثة، واستنباط الهدايات القرآنية المتعلقة بمعرفة الله تعالى وأثرها في بناء الإنسان المتوازن.

المبحث الأول: الآثار الإيمانية لمعرفة الله تعالى

إن الآثار الإيمانية هي النتائج والتأثيرات التي يظهرها الإيمان في حياة الإنسان وسلوكه وقلبه. وتتقدمها الآثار الإيمانية العظمية لمعرفة الله تعالى حيث تمثل أساس الدين والأصل الذي يبنى عليه العقيدة الإسلامية الصحيحة، فمعرفة الله تعالى وعبادته هي الهدف الأسمى لخلق الجن والإنس، ومكان الخلافة في الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] فالعبادة الناشئة عن معرفة المعبود سبحانه وتعالى بجلاله وعظمته وقدرته تؤدي إلى كمال الانقياد لأوامره ومنهجه، قال الإمام الطبري: "إلا ليعبدون، أي: ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا والتذلل لأمرنا".⁽¹⁾ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "إلا ليقروا بالعبودية طوعاً وكرهاً"⁽²⁾ فمعرفة الله تعالى وعبادته أساس قبول الأعمال وصحتها فلا تصح عبادة إلا بعلم بالله وبما يجب له من التوحيد الكامل والإخلاص التام والطاعة المطلقة. قال ابن القيم رحمه الله: "أشرف العلوم على الإطلاق علم العبد بربه، الذي هو أساس كل علم، وأصل كل عمل"⁽³⁾. فمعرفة الله هي علم يوجه القلب نحو تعظيم الله، ومحبة له، وخوف منه، والاعتماد عليه، والقبول بقضائه، فأعمال القلوب تمثل جوهر الإيمان؛ التي تظهر في سلوك صحيح وتحسين الأخلاق فيتحقق الخضوع التام لكل عبادة وسلوك مستقيم. فيكون السلوك صحيحاً، ويشعر القلب بالسكينة وذلك لأن الآثار الإيمانية مرتبطة بتفاصيل حياته وليست علماً نظرياً بعيداً عن واقعه العملي ومن أهم هذه الآثار:

أولاً: إرساء التوحيد واليقين:

إن التوحيد الخالص النقي من شوائب الانحرافات ليرسخ في القلب بمعرفة الله عزوجل معرفة تبرز فيها أسمائه وصفاته وأفعاله لكي يتكون التصور الذي يؤسس حياة المؤمن على السلوك القويم والإيمان العميق الذي يحقق المسلم من خلاله مهمة الاستخلاف وتحقيق العبودية لله تعالى على بصيرة ويقوم بالمهمة الموكلة إليه عن علم وإدراك وتركيز على أهمية التوحيد المطلق الله مقترنا بالإيمان الكامل به وتنزيهه عن الشرك وإفراده بالعبادة التي تقوم على يقين بالقلب وفهم بالعقل وعمل بالجوارح يرسخ عظمة الله مما يستوجب للخالق التوحيد والطاعة دون سواه، وهو اعظم ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: 19]. فالعلم مقدم على العمل ليحفظ صاحبه من الزيغ والضلال ويحفظ عليه النجاة والثبات في طريق الحق وفي ذلك قال ابن كثير: "وقد أمر الله رسوله بالعلم بأنه لا إله إلا الله قبل أن يأمره بالعمل، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل"⁽⁴⁾. وأن

1 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، د.ط، ص 555.

2 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، د.ط، ص 554.

3 الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، د.ط، ص 8.

4 الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، د.ط، ص 316.

ذلك هو المنهج الصحيح في التربية الربانية والذي اتفق عليه العلماء قاطبة فقد اجتمعوا على ما قال ابن القيم رحمه الله: "ولما كان العلم للعمل قريناً وشافعاً، وشرفه لشرف معلومه تابعاً، كان أشرف العلوم على الإطلاق علم التوحيد، وأنفعها على أحكام أفعال العبيد" (1). فمعرفة الله أسمى العلوم وأعظمها وأرفعها، حيث أنه إذا استنار العقل بمعرفة خالقه أضاء الخالق لعبده الطريق وزال عنه الشكوك وعبد الله على علم ويقين وكانت تلك المعرفة سبباً لخيرات الدنيا والآخرة (2) لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾. [الجن، الآية 16]، كما أن شرف العلم يكون بشرف المعلوم والمعرفة بالله هي أعظم شرف يناله المتعلم وإلى هذا أشار العلامة ابن باز بقوله: "أصل الدين وأساسه توحيد الله ومعرفة الله والإيمان به وهو أساس الملة وهو رأس الأمر وهو أهم الفرائض وهو الحكمة في خلق الثقلين والحكمة في إرسال الرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام" (3). فمعرفة الله هي الأساس الذي تقوم عليه أعمال القلوب، من إيمان ومحبة وخوف، ورجاء، وتوكل وإنابة، وهي الباعث على الهمة والعزم والمسارة في أعمال الجوارح من الجهاد والصدقة والصلاة وطلب العلم وغيرها وفي ذلك قال الغزالي رحمه الله: "من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله وأوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة فهذا أعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وإن كان في طاعة الصديقين وأما الآخر فهو في عرضة الغرور والأمن، إن واطب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جنائية بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله" (4) فعبادة الله عزوجل على بصيرة، بفعل أوامره وترك معاصيه هي عبارة عن نتاج لمعرفة الله تعالى.

ثانياً: ترسيخ تعظيم الله ومحبته:

إن تعظيم الله وتكرمه أشد التعظيم، هو من أهم التأثيرات الإيمانية الناتجة عن معرفة الله تعالى حيث تبنى في القلب حباً لله يوجه المؤمن للارتباط بالله سبحانه وتعالى ارتباطاً يؤدي إلى الطاعة الكاملة بحب وإخلاص في سرعة وشوق يدفع النفس الإنسانية للسعي نحو رضاه سبحانه وتعالى والتضحية بكل غالي ونفيس لنيل شرف رضاه وذلك بسبب التأثير الكبير للمعرفة الصحيحة بأسماء الله وصفاته في ملأ القلب حباً واحتراماً وتقديراً لله سبحانه (5)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165]. وهذه الآية وغيرها تدل على تأكيد وجوب محبة النبي ﷺ باعتبار هذه المحبة من صميم الدين فلا يتم لأحد إيمان إلا بتحقيقها. بل إنه لا يكتفي بوجود أصلها

1 الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، د. ط، ص 8.

2 التويجري، موسوعة فقه القلوب، د. ط، ص 39.

3 التميمي، محاسن التوحيد وارتباطها بأركان الإيمان، د. ط، ص: 201.

4 الغزالي، إحياء علوم الدين، د. ط، ص 159.

5 العيد، موسوعة شرح أسماء الله الحسنى، د. ط، ص 54.

فقط، إذ لا بد مع ذلك من تقديم محبته بعد محبة الله على محبة النفس والوالد والولد والناس أجمعين" (1). وإنما كان ذلك أثراً لمعرفة الله تعالى ومحبته ومصدق ذلك ما جاء في قول أحمد بن عاصم الأنطاكي: "من كان بالله أعرف كان له أخوف وقال بعضهم من عرف الله تعالى تبرم بالبقاء وضائق عليه الدنيا بسعتها، وقيل: من عرف الله تعالى صفا له العيش، وطابت له الحياة وهابه كل شيء وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله تعالى، وقيل: من عرف الله تعالى ذهب عنه رغبة الأشياء وكان بلا فصل ولا وصل، وقيل: المعرفة توجب الحياء والتعظيم كما أن التوحيد يوجب الرضا والتسليم" (2). كذلك يكون ما عند الله أرجى لعلمه بكرمه وإحسانه مما يحفز النشاط في الطاعات، فالمؤمن العارف بالله وأفعاله وصفاته ليجد في قلبه محبة وتقديرًا لخالقه يجعله ملتزماً بشريعة ربه فيتمسك بالعروة الوثقى ويكون له حسن الظن بخالقه سبحانه وتعالى فيحقق المعنى الحقيقي للمحبة الصحيحة فيظهر محبته بأعمال القلب والجوارح وقد امتلأ قلبه بمحبة الله وتعظيمه قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165] فتلك هي المحبة الحقيقية التي تعبر عن الطاعة الكاملة، وتحول العبادة إلى علاقة تريح القلب وتفرح الروح وتزداد حياة مع الله يتوجها الانصياع الكامل للطريقة الصحيحة في تقدير الفضل الإلهي بالنعم فقد خلق الله القلوب على محبة من أحسن إليها، فتحمل للخالق المعطي الشكر لإحسانه ونعمته على عباده. وكما قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وكما أنه لا نسبة لنعيم ما في الجنة إلى نعيم النظر إلى وجه الأعلى سبحانه، فلا نسبة لنعيم الدنيا إلى نعيم محبته ومعرفته والشوق إليه والأنس به، بل لذة النظر إليه سبحانه تابعة لمعرفة محبته به ومحبته له، فإن اللذة تتبع الشعور والمحبة. فكلما كان الحب أعرف بالمحبوب، وأشد محبة له كان التذاذه بقربه ورؤيته ووصوله إليه أعظم. ثم قال: أن المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضرر، ولا عطاء ولا منع، ولا هدى ولا ضلال، ولا نصر ولا خذلان، ولا خفض ولا رفع، ولا عز ولا ذل، بل الله وحده هو الذي يملك له ذلك كله" (3).

ثالثاً: تحقيق الخشية والمراقبة:

إن الخوف المرتبط بالعلم والمعرفة بعظمة الخالق وقدرته وإحاطته يحقق الخشية من الله، فهو أصل عظيم من أصول الإيمان، وهو عبادة هامة، فكلما كان العبد بالله أعرف، كان له أخشى. (4) ولذلك خصّ الله بها العلماء، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]. قال ابن كثير رحمه الله: "أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء

1 التميمي، ضج الوصول الي حقيقة محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، د. ط، ص: 69.

2 القشيري، الرسالة القشيرية، د. ط، ص 479.

3 الجوزية، إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، د. ط، ص: 33.

4 بن قاسم، علماء نجد الأعلام، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، د. ط، ص 438.

الحسنى - كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر⁽¹⁾. وذلك أن العلم الذي يحملونه يعرفهم بالله ويربطهم به فتزيدهم معرفته خشية أكبر من خشية عامة الناس من البشر الذين لم يعرفوا ما عرف به العلماء من جوهر العلم عن الله عزوجل، مما ينير بصيرتهم ويبيّن إيمانهم الواعي؛ كما يدرك العالم أهمية حماية العلم والخوف عليه من الشبهات والمعاصي، مما يؤدي إلى يقظة وخشية لله تعالى تُثمر نوراً في البصيرة وانضباطاً في السلوك، وتجنباً للمعاصي، وسرعة في الطاعات؛ فكلما زاد العبد معرفة بالله، زادت هيئته له، فهو يخشاه ويرجو رحمته، فيحيا بين الخوف والرجاء لتحقيق التوازن الإيماني في حياته مما يحفظه من التشدد أو التفریط، من خلال اتباع المنهج الشرعي الصحيح كحارس للسلوك والأخلاق والقيم العالية. وقد ذكر ابن القيم أن الرقابة الإلهية هي الضابط الأول للسلوك في التربية الإسلامية، وهي التي تمنع الانحراف حين تغيب الرقابة البشرية فقال: "وأرباب الطريق مجمعون على أن مراقبة الله في الخواطر: سبب لحفظه في حركات الظواهر، فمن راقب الله في سره حفظه الله في حركاته وعلانيته.

والمراقبة هي التبعد باسمه الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير؛ فمن عقل هذه الأسماء وتبعد بمقتضاها حصلت له المراقبة⁽²⁾. " (2). فإن معرفة الله وإحاطته بكل شيء تعطي المؤمن شعوراً بعظمة الله وعلمه الواسع بكل شيء وفي كل وقت مما يساعد على استقامة الجوارح فيصبح سلوكه صحيحاً ويزداد خشية لله فيصفي قلبه مع الأمل في رحمته وتوفيقه لكل خير ليحقق الهدوء وراحة النفس، والتفكير الواعي بحسن تدبير الله تعالى في خلقه بما يصلح حالهم فيرضوا بقضاء الله، ولذا قال القشيري "المعرفة على لسان العلماء هو العلم، فكل علم معرفة وكل معرفة علم، وكل عالم بالله عارف، وكل عارف عالم وعند هؤلاء القوم المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في معاملاته ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظي من الله تعالى بجميل إقباله وصدق الله تعالى في جميع أحواله وانقطع عنه هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره فإذا صار من الخلق أجنبيا ومن آفات نفسه برياً ومن المساكنات والملاحظات نقياً ودام في السر مع الله تعالى مناجاته وحق في كل لحظة إليه رجوعه، وصار محدثاً من قبل الحق سبحانه بتعريف أسرارهِ فيما يجريه من تصارييف أقداره يسمى عند ذلك عارفاً وتسمى حالته معرفة بالجملة فبمقدار أجنييته عن نفسه تحصل معرفته بربه عز وجل وقد تكلم المشايخ في المعرفة فكل نطق بما وقع له وأشار إلى ما وجدته في وقته⁽³⁾. قال تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]. وقال ابن القيم رحمه الله: "ففي القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبهِ إلا السرور بمعرفته وصدق

1 الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، د.ط، ص 544.

2 الجوزية، مدارج السالكين، د.ط، ص 307.

3 القشيري، الرسالة القشيرية، د.ط، ص 477. وانظر: العواضي، روضة العابدين، د.ط، ص 56.

معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا بما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبداً.⁽¹⁾

فالإقبال على الله هو توجه نحو النور الإلهي الذي يملأ القلب ويضيء الطريق ويكف الأعداء، ويعزز وجود الله في العقل لتكوين رقابة ذاتية تضبط السلوك وتصلح الأخلاق قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: 14] فيستقر في القلب معنى استحضار مراقبة الله دائماً وفي كل وقت وأي مكان، وإدراك قرب سببانه يجعل الإنسان أميناً في السر والعلن، وعلماء الطريق متفقون على أن مراقبة الله في الخواطر: سبب لحفظه في تصرفاته الظاهرة، فمن راقب الله في سره حفظه الله في تصرفاته وعلايته. والمراقبة هي العبادة باسمه الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير؛ فمن فهم هذه الأسماء وعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة⁽²⁾. وإن تعليم الطفل مراقبة الله منذ صغره ينمي فيه الضمير الحي، ويجعله يشعر بالحنج من الله قبل أن يشعر بالحنج من الناس، فإن من الضروريات في تربية الصغار زرع التوحيد الخالص في قلوبهم وأن يتم تربيتهم على مراقبة الله عز وجل والإحساس بقربه ورعايته لأوليائه والإيمان بقدره، ونرى هذا جلياً في توجيه كريم وتربية صادقة من النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمه الغلام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.⁽³⁾ فمراقبة الله هي الطريقة الأهم في تشكيل الفرد المسلم التشكيل القوي الذي يمكنه من مواجهة كل ما يحدث في المجتمع من هجمات الأفكار السلبية فتتعديل أعماله ويتصحح مساره بناءً على الأسس التي ترى عليها محققا الخوف الحقيقي الذي ينتج عن المراقبة ومحاسبة النفس التي هي حاجة كبيرة لتحقيق الاستقامة الإيمانية⁽⁴⁾.

رابعاً: تحقيق التوكل الحق على الله تعالى

إن من التأثيرات الإيمانية الكبيرة لمعرفة الله تعالى هو التحرر من الخرافات الذي لا يحدث إلا من خلال معرفة الله تعالى بعظمته وتفرد بالملك وبالخلق والتدبير بالإيمان بأنه الواحد الخالق المدبر الرزاق، وانه الفرد الصمد ليثمر التوكل الصادق عليه سبحانه⁽⁵⁾. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3]. فالتوكل على

1 الجوزية، مدارج السالكين، د.ط، ص 17. وانظر: الجوزية، الداء والدواء، د.ط، ص 430.

2 الجوزية، مدارج السالكين، د.ط، ص 307.

3 الزيد، وقفات مع أحاديث تربية النبي صلى الله عليه وسلم لصحافته، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: 36، العدد 112، 424 هـ ص 107.

4 نبيل، بناء المجتمع الإسلامي، د.ط، ص 137.

5 الجوزية، طريق المهجرتين وباب السعادتين، د.ط، ص 257. وانظر: البدراني، شفاء الضرر بفهم التوكل والقضاء والقدر، د.ط، ص 35.

الله الحقيقي يحقق الحياة السعيدة المطمئنة حيث إن المؤمن لا يقلق عند الصعوبات، وإنما يؤمن أن كل أمر المؤمن له خير حسب تدبير الحكيم الخبير فيعيش بتوازن في حياته فيكون بين الصبر والشكر. قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23] فالمؤمن متعلق بالله، فلا يخشى من مخلوق ولا يتوكل إلا على الله الذي تكفل برزقه وبأمره كله ويستحضر قول النبي ﷺ كما في حديث عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقُكُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَعْدُو خِمَاصًا وَتَرْوُحُ بِطَانًا"⁽¹⁾. فمعرفة الله راس الغنى الذي يملأ قلب المؤمن ليقينه إن الرزاق مالك الملك هو من تنعم بالعطاء الجزيل مما ادركناه أو لم نخط به علما الظاهر والباطن قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 18]، وقال تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34] فعلى المؤمن أن يتخذ الأسباب في البحث عن الرزق ولكن عليه أن يتوكل على الله الرزاق بأن يحرر قلبه من الاعتماد على المخلوقين ويكون ثقته في الله وحده، مدركا الطريق الصحيح حيث يتجه المؤمن إلى ربه في كل حاجاته ويربط دعاءه بأسماء الله الحسنى كما أمر الله بالدعاء بها⁽²⁾.

خامسًا: غرس الامتنان لله تعالى والشكر

إن معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله وكمال عطاءه ليبعث على عبادة الشكر والامتنان لله تعالى والاعتراف كما يرتقي بالمؤمن في مشاعره ليرسخ لديه الشعور بالتقصير أمام فضل خالقه عليه مهما بذل من جهد لأداء حقه وادراك نعمه الشاملة بتنوعها الظاهرة والباطنة السابقة واللاحقة ليغرس ذلك الشعور بالتقصير في قلب المؤمن امتنانًا لخالقه وإفرادًا له بالحمد والثناء على ما أنعم عليه وشكرا فيفيض به قلبه وطاعة تترجمها جوارحه قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: 53]، فيها دلالة على أن الله تعالى المصدر الأوحد لجميع النعم فليس لمخلوق سواه فضل في ذلك فهو المتفرد بالنعم المستوجب الشكر والمنة وإن معرفة مصدر النعمة لهو نعمة بحد ذاته حيث يدرك المرء لمن يتوجه بالشكر فيتحلى المؤمن أمام الخالق المنعم وأمام الخلق بالتواضع وبأخلاق الشاكرين وعبادة المخلصين كما يتسم بالإحسان إلى العباد شكرا للمنع واستثمارا للنعم فيما احل الله مقرنا ذلك بالشكر القلبي والحمد والثناء الدائم على الله⁽³⁾ ومترجمًا بالشكر العملي من خلال الحفاظ على النعم دون إسراف أو تقتير وحراستها بالعمل الصالح فيها بما يزيد من أعمال الخير وإظهار اثر النعم عليه وذكرها شكرا لله وحمدا، وذكر القرطبي في معنى هذه الآية: قوله: "أي: ما يكن بكم في أبدانكم، أيها

1 الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ت 279 هـ، ط2، 1395 هـ - 1975 م السنن ت: أحمد محمد شاكر ج 1، 2، ومحمد فؤاد عبد الباقي ج 3، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف ج 4، 5، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ج 4، ص 573، برقم 2344 وقال: حديث حسن صحيح.

2 ابن الفراء، التوكل، د.ط، ص 38.

3 الجوزية، بدائع الفوائد، د.ط، ص 9.

الناس، من عافية وصحة وسلامة، وفي أموالكم من نماء [فمن الله، هو] المنعم بذلك عليكم لا غيره؛ لأن ذلك إليه وبيده، (ثم إذا مسكم الضر). يقول: إذا أصابكم في أبدانكم سقم ومرض، وعلة عارضة، وشدة من عيش، (فإليه تجأرون). يقول: فإلى الله تصرخون بالدعاء، وتستغيثون به؛ ليكشف ذلك عنكم. ⁽¹⁾. وفي ذلك تنبيه للمؤمن وتذكير لاستحضار أعظم النعم السابقة والتي تتقدمها نعمة المعرفة بالإله الخالق الرحيم بعباده الذي امتن بمعرفته عن طريق الفطرة والكتب والرسل. وما سبق خلق الإنسان مما يحقق له الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة. فمعرفة الله واليقين بأنه هو الذي أنعم على الإنسان قبل وجوده، تورث القلب سكونية وطمأنينة، وتجعله أكثر قدرة على مواجهة التحديات النفسية فمن النعم السابقة خلق الملائكة واللوح المحفوظ والجنة وغيرها من النعم، لترتبط بها حياته الدنيوية والأخروية. فإن الشكر هو ثمرة الشعور بالامتنان الذي يتأتى من شهود النعم ومعرفتها. ليتجلى بذلك شكر النعم بالقول والعمل والقلب كواجب على المؤمن مؤذنا بالزيادة ⁽²⁾، قال تعالى (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) [إبراهيم: 7]. وتلك هي قمة الفضل والإحسان من الذي أعطى النعم وهدى إلى شكرها وساعد على ذلك ثم زاد إحسانه بالطريقة التي وفق إليها من الشكر بامتنانه سبحانه وإن الشكر ليس شعوراً داخلياً فقط في القلب، بل هو تصرف عملي يظهر في حياة الشخص ومجتمعه وقد يمتد إلى الأمة الإسلامية بأكملها حسب نوع النعمة، مثل شكر العلم من خلال نشره وشكر المال بالإنفاق فيما يساعد على نشر الخير ودعم كل ما يفيد الإسلام والمسلمين والمحتاجين من المسلمين والسعي بما يملك من النعم بصفة عامة لتلبية احتياجات الناس وطرق الخير ومن شكر الله تعالى شكر الناس على ما كانوا سبباً في جلبه من الخير أو دفع الشر فقد قال عليه الصلاة والسلام: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله" ⁽³⁾

سادساً: الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة:

إن الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة هي الغاية المنشودة لكل إنسان إلا أنه لا ينالها إلا المسلم بمعرفة الله تعالى فهي من أعظم الآثار الإيمانية كنتيجة حتمية لتحقيق الهدف الاسمي من الاستخلاف في الأرض ولخلق الله عزوجل للإنسان حيث تواجد لدى المؤمن بمعرفته لله المعنى الصحيح للحياة الطيبة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالله تعالى وبمنهجه القويم الذي يحقق السعادة فالله تعالى هو أعلم بمن خلق وبما يحقق له الحياة الطيبة التي لا تتحقق بالمنظور المادي المرتبط بكثرة المال أو المتاع الدنيوي الزائل بل بمعرفة الله تعالى والانقياد لأمره. ⁽⁴⁾ قال تعالى: (مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل: 97].

1 الطبري، تفسير الطبري=جامع البيان عن تأويل آي القرآن، د.ط، ص 251.

2 التوحيدي، موسوعة فقه القلوب، د.ط، ص1332.

3 أخرجه أحمد في المسند، ص380.

4 البدراني، فقه الابتلاء، د.ط، ص56.

وذكر السعدي في تفسيرها قوله: فإن الإيمان شرط في صحة الأعمال الصالحة وقبولها بل لا تسمى أعمالاً صالحة إلا بالإيمان والإيمان مقتضى لها فإنه التصديق الجازم المثمر لأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات فمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح (فلنحيينه حياة طيبة) وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه ويرزقه الله رزقا حاللا طيبا من حيث لا يحتسب (ولنجزيهم) في الآخرة (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) من أصناف اللذات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيؤتيه الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.⁽¹⁾ فهذه الآية الكريمة هي الميزان الصحيح لتحقيق الحياة الطيبة والتي تحدد العامل الأساسي لذلك وهو العمل الصالح المبني على الإيمان التام بالله تعالى الذي يجعل حياة المؤمن كريمة طيبة محققا للإيمان بمعرفته بمن خلقه ولماذا خلق وما هو الدور المناط به وماهي مكانته بين المخلوقات وعظم مسؤوليته التي وكل بها حيث انه خلق لعمارة الأرض فهو مستخلف فيها ليقوم شريعة خالقه ويحقق عبادته لله تعالى في وسطية وتوازن وعلى علم متفائلاً بفضل الله الذي يجازي المؤمنين بالإحسان في الدنيا وبأحسن ما عملوا في الآخرة فيجد وعد الله نتيجة واضحة جليلة في حياة طيبة الحياة ليست بالضرورة بكثرة المال أو الجاه، بل بسكينة القلب ورضا النفس وثمرات الإيمان والعمل الصالح ... ثم الفوز بالجنة قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل: 97]. فأخبر سبحانه عن فلاح من تمسك بعهدة علما وعملا في العاجلة بالحياة الطيبة وفي الآخرة بأحسن الجزاء.⁽²⁾

سابعاً: حلاوة العبادة والبصيرة:

إن للطاعة والعبادة حلاوة وطعماً يتذوقه ويشعر بها المؤمن كما في الحديث الصحيح قال ﷺ: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً"⁽³⁾ أي: وجد لذته في قلبه. وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"⁽⁴⁾. وفي لفظ عنه أنه ﷺ قال: "لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا الله، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر ...". الحديث⁽⁵⁾. هذا الحديث يعد نصاً صريحاً من النبي ﷺ يخبر بوجود الحلاوة في الإيمان وإحساس القلب بها كما يحس الفم بحلاوة طعام لذيذ، ففي الحديث أن النبي ﷺ جعل وجود حلاوة الإيمان معلقاً بمحبة الله ورسوله، وبالمحبة فيه، وبكراهة ضد الإيمان، وجعل ذوق طعم الإيمان معلقاً بالرضى بهذه الأصول، ليفرق

1 السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، د. ط، ص 449.

2 الجوزية، التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم، د. ط، ص 376.

3 أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإيمان باب الدليل على أن من رضي بالله رباً، وبمحمد رسولاً فهو مؤمن حديث رقم 34.

4 أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإيمان باب بيان الخصال من اتصف بمن وجد حلاوة الإيمان حديث رقم 43.

5 أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الأدب باب الحب في الله حديث رقم 5581.

بين الذوق والوجد، الذي هو أصل الأعمال الظاهرة وثمرتها الأعمال الباطنة. (1) ولا شك أن من ذاق حلاوة الإيمان كان هذا حاله كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، فقال: "ليس عند القلب لا أحلى ولا ألد ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبودية الله ومحبتة له، وإخلاصه الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيباً إلى الله خائفاً منه راغباً راهباً" (2). قال البيهقي: "فأبان ﷺ بهذا الخبر أن الشح بالدين من الإيمان؛ لأنه ذكر الحلاوة مثل الإيمان، وأراد أن الشحج بدينه كالمطعم بالشيء الحلو، فكما أن الراغب في الحلو لا يجد حلاوته فيلتذ بها إلا بتطعمه، كذلك الراغب في الإيمان لا يسلم له مقصوده منه إلا وأن يكون شحيحاً به، فإنه إذا شح بالإيمان لم يأت بما يفسده عليه كما أن من وجد حلاوة الحلو لم يأت بما يبطئها عليه... فصح أن الشح بالدين من أركان الدين، لا يجد حلاوة الدين من لا يجد الشح به في قلبه والله أعلم، وهذا هو الأمر الذي يشهد العقل بصحته؛ لأن من اعتقد ديناً، ثم لم يكن في نهاية الشح به، والإشفاق عليه كان ذلك دلالة على أنه لا يعرف قدره، ولا يتبين موضع الحظ لنفسه فيه، ومن كان الحق عنده حقيراً لم يسكن الحق قلبه، وبالله العصمة" (3). وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: "من سرّه أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا الله ﷻ" (4). وقال السعدي -رحمه الله-: "من وجوه زيادته ونقصه: أن من المؤمنين من هو واجد لحلاوة الإيمان، وقد ذاق طعمه، واستحلى الطاعات، واستنار قلبه بالإيمان، ومنهم من لم يصل إلى ذلك" (5). وقد استدلل هرقل ملك الروم بهذه الحلاوة الإيمانية على زيادة الداخلين في الإسلام وعدم تسخطهم منه، وذلك في أسئلته لأبي سفيان بن حرب ؓ حين سأله عن أمور النبي ﷺ فقال: "وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم وسألتك: أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب..." (6). وفي رواية أنه قال: "وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه" (7). قال السعدي -رحمه الله-: "فذكر من علامات النبوة زيادة الإيمان وزيادة الداخلين فيه، ومحبة أهله له، وإيثارهم إياه على كل ما سواه، إذا ذاقوا حلاوته وخالط نوره قلوبهم" (8). وقال ابن حجر في شرح قوله: «وكذلك الإيمان»: "أي: أمر الإيمان، لأنه يظهر نورا، ثم لا يزال في زيادة حتى يتم

1 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، د.ط، ص 453-454.

2 ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، د.ط، ص 196.

3 البيهقي، شعب الإيمان، د.ط، ص 253-254.

4 أخرجه الإمام أحمد في المسند، ص 520، وقال المحقق: "إسناده حسن"، ص 431.

5 السعدي، التنبهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيعة، د.ط، ص: 112.

6 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي باب 7 حديث رقم 6 انظر: فتح الباري لابن حجر ج 1، ص 42.

7 ابن عساكر، الطبري تاريخ الأمم والملوك، د.ط، ص 129، ابن عساكر، وتاريخ دمشق، ص 430، والعسقلاني، فتح الباري، د.ط، ص 49، وابن كثير، البداية والنهاية، ص 263.

8 السعدي، وجوب التعاون بين المسلمين ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ، د.ط، ص 243.

بالأمور المعتبرة فيه من صلاة وزكاة وصيام وغيرها⁽¹⁾. وقال في قوله: «حين يخالط بشاشة القلوب» أي: يخالط الإيمان انشراح الصدور... وهو شرحه القلوب التي يدخل فيها⁽²⁾. وقال شيخ الإسلام: "فالإيمان إذا باشر القلب وخالطته بشاشته لا يسخطه القلب بل يحبه ويرضاه، فإن له من الحلاوة في القلب واللذة والسرور والبهجة ما لا يمكن التعبير عنه لمن لم يذقه"⁽³⁾. فثبت بهذا أن حلاوة الإيمان دليل على تفاوت الناس وتفاضلهم في إيمانهم. وقال أيضا: "والناس متفاوتون في ذوقه والفرح والسرور الذي في القلب له من البشاشة ما هو بحسبه"⁽⁴⁾. وقال أيضا: "فوجود المؤمن حلاوة الإيمان في قلبه وذوق طعم الإيمان أمر يعرفه من حصل له هذا الوجد. وهذا الذوق أصحابه فيه يتفاوتون، فالذي يحصل لأهل الإيمان عند تجريد توحيد قلوبهم إلى الله، وإقبالهم عليه دون ما سواه بحيث يكونون حنفاء له مخلصين له الدين لا يحبون شيئا إلا له، ولا يتوكلون إلا عليه ولا يوالون إلا فيه، ولا يعادون إلا له ولا يسألون إلا إياه، ولا يرجون إلا إياه، ولا يخافون إلا إياه، يعبدونه ويستعينون له وبه، بحيث يكونون عند الحق بلا خلق، وعند الخلق بلا هوى، قد فנית عنهم إرادة ما سواه بإرادته ومحبة ما سواه بمحبته، وخوف ما سواه بخوفه، ورجاء ما سواه برجائه، ودعاء ما سواه بدعائه، هو أمر لا يعرفه بالذوق والوجد إلا من له نصيب، وما من مؤمن إلا له منه نصيب"⁽⁵⁾. فالمؤمن يعبد ربه ويدعوه على بصيرة، وهو معنى قرره أهل العلم مرارا في تقرير منزلة العلم بالله.

ثامنا: التحفيز على البحث والعلم:

إن معرفة الله عزوجل لتحفز المؤمن على البحث عن المزيد من المعرفة بما يزيد من إيمانه ويحفزه على الطاعات؛ إذ توجه العقل لاكتشاف ما جاء في الكتاب والسنة من علوم الغيب والأحكام وما يهذب نفسه ويحمله من الوقوع في المعاصي ويرتقي به في مدارج السابقين إلى الله، فمعرفة الله العامة مركوزة في النفس وهي معرفة كل أحد أنه مفعول وأن له فاعلا فعله ونقله. وهذه المعرفة لله مكتسبة، بمعرفة توحيده وصفاته، وما يجب أن يثبت له من الصفات وما يجب أن ينفي عنه، وهذه المعرفة هي التي دعت إليها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولهذا قالوا كلهم: قولوا لا إله إلا الله، ولم يدعوا إلى معرفة الله تعالى، بل دعوا إلى توحيده، وهذه المعرفة هي المكتسبة، لقوله سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾⁽⁶⁾. [المجادلة: 11]، مما يدل على أن العلم طريق الرفعة والكمال الإيماني، كما أن العلم من أجل القربات وأعظم الوسائل الموصلة إلى معرفة الله تعالى؛ فكان أن

1 العسقلاني، فتح الباري، د.ط، ص 48.

2 المرجع السابق ص 49.

3 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، د.ط ص 648.

4 المرجع السابق، ص 648.

5 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، د.ط ص 335-336.

6 الحملاوي، كتاب التوحيد المسمى بـ "التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد"، د.ط ص 45.

جعله الشارع عزوجل أساساً للإيمان الصحيح، وبه رفعة للعبد في الدنيا والآخرة. كما أن معرفة الله تعالى معرفة صحيحة لتحرر العقل من الجمود والتقليد الأعمى ويعيب الإسلام على المقلدين تقليدهم الأعمى ويدعو إلى إعمال العقل لا تعطيله، ويحث المؤمن على حب الاستزادة من العلم النافع، تحقيقاً لمقصد العبودية، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁽¹⁾. [طه: 114]. كما أن معرفة الله تعزز لدى المؤمن المنهجية العلمية الصحيحة والمتوازنة التي تعتمد على التحقق، والتجرد، والبحث عن الحق نتيجة شعوره بالأمانة، وأهمية إخلاص النية، مما يدفعه إلى الاجتهاد والإخلاص والصدق والابتعاد عن الهوى والتعصب وملازمة الحياد إلى الحق في طلب العلم كما تنتمي لديه التفكير التأملي والنقدي المنضبط بضوابط الشرع المتجرد من غيره في تحقيق التوازن بين العقل والنقل في بناء المعرفة الصحيحة مع تعزيز الدافعية الذاتية للتعلم المستمر مع إدراك حدود المعرفة البشرية وقصورها أمام المعرفة الربانية قطعية الدلالة لبناء شخصية علمية متواضعة تدرك حدود المعرفة البشرية للإسهام في نهضة الأمة علمياً وحضارياً.

المبحث الثاني: الآثار التربوية لمعرفة الله تعالى

إن معرفة الله تعالى هي الأساس التعليم في الإسلامية، والعنصر لبناء الفرد والمجتمع الصالح حيث إنها توجه السلوك وتؤكد القيم وتضبط علاقة الفرد بخالقه ثم مع نفسه والناس ليتمكن من فهم كيفية التعامل مع نفسه أولاً ثم مع مجتمعه والعالم وفق خطة واضحة وتربية تحقق المصلحة الشخصية والمصلحة العامة وذلك أنه كلما زاد العبد معرفة بربه، زاد إيماناً وخشية وورع فأسفر ذلك استقامة في سلوكه وأخلاقه وعلاقاته⁽²⁾. ولقد أولى القرآن الكريم اهتماماً كبيراً بتعريف الإنسان بربه بما يؤكد لهذا الأصل العظيم في البناء التربوي الإسلامي حيث إن معرفة الله تعود بآثار تربوية عميقة تبني الشخصية المتوازنة وترسخ الرقابة الذاتية التي تحقق التربية الإيمانية الشاملة التي تعود بالخير على الفرد والمجتمع⁽³⁾، ومن هذه الآثار التربوية لمعرفة الله:

أولاً: تحقيق تصوّر الصحيح عن الله عزوجل:

إن تحقق تصوّر الصحيح عن الله عز وجل هو الأساس للبناء الإيماني الكامل، الذي يحكم السلوك والمشاعر والقرارات فيحميها من الانحراف عن المنهج كما أن العقل البشري لا يمكن أن يدرك حقيقة الله إدراكاً

1 الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، د. ط ص: 153، السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي، د. ط، ص: 167.

2 مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، د. ط ص 126. والنحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، د. ط ص 67.

3 السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي، د. ط ص 111.

صحيحاً كاملاً دون هداية الوحي. وقد اقر القرآن الكريم هذا الأصل في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، الآية: 11]، وهي آية تجمع بين التنزيه والإثبات، وتؤسس للمنهج العلمي العقدي التربوي لفهم سليم لصفات الله بعيداً عن التشبيه والتعطيل، وقد أكد ابن تيمية رحمه الله هذا المعنى بقوله: "فإن معرفة الله إنما تؤخذ من الكتاب والسنة رسوله"⁽¹⁾. كما أن من القواعد العقدية في الفهم العميق الذي يصح التصورات البشرية القاصرة التي قد تتأثر بثقافتها أو تجارها الشخصية، قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [سورة النحل، الآية 60]، وبين ابن كثير أن المقصود بذلك "أي: الكمال المطلق من كل وجه"⁽²⁾ فلا تدركه سبحانه وتعالى العقول ولا تحيط به الأفهام كما قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103]. ولذا فقد قال السعدي: "لا تدركه الأبصار لعظمته، وجلاله وكماله، أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه، وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم، فنفي الإدراك لا ينفي الرؤية، بل يشتمل بالمفهوم. فإنه إذا نفى الإدراك، الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دل على أن الرؤية ثابتة. فإنه لو أراد نفي الرؤية، لقال "لا تراه الأبصار" ونحو ذلك، فعلم أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة، الذين ينفون رؤية ربه في الآخرة، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم. (وهو يدرك الأبصار) أي: هو الذي أحاط علمه، بالظواهر والبواطن، وسمعه بجميع الأصوات الظاهرة، والخفية، وبصره بجميع المبصرات، صغارها، وكبارها، ولهذا قال: (وهو اللطيف الخبير) الذي لطف علمه وخبرته، ودق حتى أدرك السرائر والخفايا، والخبائا والبواطن، ومن لطفه، أنه يسوق عبده إلى مصالح دينه، ويوصلها إليه بالطرق التي لا يشعر بها العبد، ولا يسعى فيها، ويوصله إلى السعادة الأبدية، والفلاح السرمدى، من حيث لا يحتسب، حتى أنه يقدر عليه الأمور، التي يكرهها العبد، ويتألم منها، ويدعو الله أن يزيلها، لعلمه أن دينه أصلح، وأن كماله متوقف عليها، فسبحان اللطيف لما يشاء، الرحيم بالمؤمنين." ⁽³⁾. فينبغي على الخلق أن يغذوا العقول بالمعارف والعلوم الدنيوية والدينية ليتكوّن لدى المؤمن التصور النقي، المتوازن، دون تشبيه ولا تعطيل في معرفة الله الصحيحة التي تزيل التشويه وتمنعه من إسقاط الصفات البشرية على الله فتبني في القلب الصورة العظيمة والمهيبة للخالق العظيم الرحيم الحكم العدل كما وصف نفسه. كما تُعد أسماء الله الحسنى أسس في بناء التصور المتكامل عن الخالق سبحانه بما فيها من معاني وصفات وأفعال إذ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾. [سورة الأعراف، الآية 180]. وقد قرر ابن القيم أن العلم بالله ومعرفته سبحانه بأسمائه وصفاته أصل كل خير، وأن الجهل أصل كل شر وبدعة. ⁽⁴⁾ وهذه المعرفة بما تتضمنه من قواعد وأصول لمعرفة الله تعالى دون زيغ أو انحراف مع فهم الوسائل الصحيحة للتعامل معها. ومن التربية الربانية أن وجه الخالق سبحانه وتعالى إلى أن التفكر في خلق

1 ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، د. ط ص 185.

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، د. ط ص 578.

3 السعدي، تفسير السعدي = تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، د. ط ص 268.

4 الجوزية، مدارج السالكين، د. ط ص 278.

الله الذي يزيد المعرفة بالله رسوخا ويعمق الإيمان ويبرهن على عظمة الله قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية 190]. وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. يقول تعالى ذكره: إن فيما وصفت وذكرت من عجائب خلق الله وعظيم قدرته التي خلق بها هذه الأشياء - لدلالات وحجبا وعظات لقوم يتفكرون فيها، فيستدلون ويعتبرون بها، فيعلمون أن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا لن خلقها ودبرها، دون غيره من الآلهة والأصنام التي لا تقدر على ضر ولا نفع، ولا لشيء غيرها، إلا لمن أنشأ ذلك فأحدثه من غير شيء، تبارك وتعالى، وأن القدرة التي أبدع بها ذلك، هي القدرة التي لا يتعذر عليه إحياء من هلك من خلقه، وإعادة ما فني وابتداع ما شاء ابتداعه بها.⁽¹⁾ وبذلك تكون العبادة عن معرفة بالله عزوجل هي عبادة مبنية على بصيرة وعلم بالمعبود لتحوّل المعرفة النظرية إلى محبة وخشية ويقين قلبي، يرسخ اليقين ويقوي الإيمان قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [سورة الحجر، الآية 99]. وذكر السعدي في تفسيره لقوله تعالى: «فقال: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾ أي: بالعلم النافع والعمل الصالح. بالعلم الذي يهدي إلى الله وإلى دار كرامته، ويهدي لأحسن الأعمال والأخلاق، ويهدي إلى مصالح الدنيا والآخرة. ﴿ودين الحق﴾ أي: الدين الذي يدان به، ويتعبد لرب العالمين الذي هو حق وصدق، لا نقص فيه، ولا خلل يعتريه، بل أوامره غذاء القلوب والأرواح، وراحة الأبدان، وترك نواهيه سلامة من الشر والفساد فما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق، أكبر دليل وبرهان على صدقه، وهو برهان باق ما بقي الدهر، كلما ازداد العاقل تفكرا، ازداد به فرحا وتبصرا.»⁽²⁾ فبين أن العبادة هي "غذاء الإيمان وروحه." حيث أنها تثمر الطمأنينة والاستقرار الإيماني والنفسي، وتزيد العبد قربا قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَتَضَمَّنُ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد، الآية 28]. وعلق ابن عاشور بأن طمأنينة القلب هي "ثمرة معرفة الله"⁽³⁾، وذلك أن معرفة الله تعالى تبني التصور الصحيح والمشاعر المتزنة التي تثمر السلوك المتوافق مع المنهج القويم من خلال الفهم الصحيح للأسماء والصفات مع ادراك المفاهيم الصحيحة التي تحفظ العقل من التصورات المنحرفة فلا يراه العبد جبارا معذبا فقط، ولا رحيما بلا عدل، وإنما له كل صفات الجلال والمال كما وصف نفسه سبحانه ولا بد أن يكون فهم ذلك من خلال الاعتماد على شروحات الثقات من علماء سلف الأمة كما جاء في الكتاب والسنة دون تشبيه أو تعطيل ومع فهم صحيح كما عرّف الله نفسه من خلال الكتاب والسنة وذلك أن الإنسان ذو عقل محدود الفهم والإدراك فكان لا بد أن يكون الوحي هو المصدر الأول لمعرفة الله وبيان أفعاله في الخلق والتدبير وبيان ميزان تعامله سبحانه مع عباده. ومن خلال ذلك يفهم المؤمن أن الله حكيم في أقداره وأفعاله لأنه هو الحكيم حكيم فيما شرعه لكم، وقدره، وأفعاله، وأقواله، وكونه، فهو أحكم الحاكمين⁽⁴⁾، وأقداره التي هي

1 الطبري، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، د. ط، ص 415.

2 السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، د. ط، ص 860.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، د. ط، ص 383.

4 الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع، د. ط، ص 403.

خير مطلق وإن كان ظاهرها الابتلاء فتتوازن مشاعره ويزول خوفه من المستقبل ويزداد رجاؤه في ربه الحكيم الكريم ويثبت قلبه لتصوره الصحيح عن الله الذي صنع منه الإنسان السوي، المطمئن، الواثق، المتزن.

ثانياً: غرس التوحيد الموجه للعمل:

غرس التوحيد الموجه للعمل في النفوس أخرى وأقوى لثباتها وتجزؤها في نفس العبد وطبعه، وقد أثبتت الدراسات الاجتماعية أن العقائد والعادات والتقاليد تتأصل في مرحلة الصغر أكثر من أي مرحلة أخرى فهذه المرحلة هي: "أهم مرحلة بل أخطرهما في مجال تربية الأبناء، فهي مرحلة تأسيس العادات الحسنة وتكوينها وترسيخ العقيدة السليمة في أعماق الفكر والقلب، وتثبيتها والتوجيه إلى الأخلاق الفاضلة وتثبيتها في جميع تصرفاتهم" (1). إن غرس التوحيد العقدي وما يتعلق به في حياة المسلم هو أساس البناء الإيماني، ويعتمد التطبيق العملي المنضبط في عبادته وحياته والتزهد عن كل ما يمس التوحيد من الشكرات والبدع، فالتوحيد الحق اجتماع بين المعرفة القلبية والالتزام العملي، الذي يوجه السلوك القويم ليكون برهاناً لما وقر في القلب من توحيد الله عزوجل وصدقه العمل الصالح وقد دلّ القرآن الكريم على هذا الارتباط الوثيق بين التوحيد والعمل، حيث قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف، الآية 110] مما يؤكد أن التوحيد ورجاء وجه الله وإخلاص العمل له سبحانه هو الدافع الأول للعمل الصالح المقبول. (2) لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة البينة، الآية 5]. وقد قرر ابن القيم أن الإخلاص هو روح الأعمال وقوامها (3) مما يدل على أن التوحيد هو الذي يمنح العمل قيمته. كما أنه يحقق التحرر من التعلق بغير الله ويوضح الهدف وقيم المسلم على الطريق المستقيم، حيث قال تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة، الآية: 5] وقد بين ابن تيمية رحمه الله أن هذه الآية تجمع غاية التوحيد ووسائله (4)، فهي تُعلم المؤمن أن العبادة والاستعانة لا تكون إلا لله، مما ينعكس على سلوكه استقلالاً وثقةً بالله. وبذلك يكون التوحيد ليس فقط إقرار بالجنان وإنما عمل بالأركان يترجم الإيمان المستقر في القلب إلى سلوك عملي فعندما يعلم العبد أن الله هو الرزاق، ينقطع عن السعي لطلب الرزق من الناس فيزول تعلقه بالمخلوقين، وفي ذات الوقت فانه يأخذ بالأسباب ويسعى باجتهاد لاكتساب رزقه ثقة بأن الله هو الرزاق وبيده أن يجلب الرزق للعباد أو يمنعه وفق علمه وحكمته فيترتب على المعنى الصحيح للتوكل الصادق، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3] أي: في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك ﴿فهو حسبه﴾ أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه به، (5). وكذلك على

1 خير، منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، د. ط ص 201.

2 الجوزية، مدارج السالكين، د. ط ص 131.

3 الجوزية، مدارج السالكين، د. ط ص 394.

4 ابن تيمية، العبودية، د. ط ص 97.

5 السعدي، تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، د. ط ص 870.

الفهم للأسماء والصفات التي تمثل كل ما يجلب الخير للمؤمن ويدفع الشر ويحقق الخير المطلق في حياته واخرته فغرس التوحيد ليس مجرد اعتقاد قلبي، بل هو عملية تربوية شاملة بها تتحوّل العقيدة الراسية في القلب إلى سلوك تترجمه الجوارح في امتثال وإخلاص لله عزوجل، مما يجعل التوحيد محوراً في بناء الشخصية المسلمة وإصلاح المجتمع.

ثالثاً: بناء مراقبة الله من خلال الضمير الحي:

إن معرفة الله عزوجل لتبني في الفرد المسلم المراقبة الدائمة التي تضبط المشاعر والسلوك وتحيي الضمير الواعي المتيقظ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد، الآية 4] وقد فسّر ابن كثير هذه المعية بأنها معية العلم والإحاطة فقال: "وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ أي: معهم بتأييده ونصره ومعونته وهذه معية خاصة، كقوله: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: 12]، وقوله لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: 46]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم للصدّيق وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنَ إِنَّ اللَّهَ مَعَآ﴾ [التوبة: 40] وأما المعية العامة فبالسمع والبصر والعلم، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4]، وكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: 7]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: 61]⁽¹⁾. وهذه المراقبة مما يجعل المؤمن مستشعراً المعية الربانية الدائمة مما يثمر مراقبة دائمة لله تعالى في حركته وسكونه ظاهراً وباطناً لاعتقاده الجازم باطلاع الله تعالى على خفايا نفسه فيسعى في إصلاح علانيته وسره واستحضار اسم الله السميع البصير، وفهم العليم بذات الصدور، فإن ذلك الفهم يبني لديه ضميراً حياً يجعله يراقب نفسه في الخفاء قبل العلن محققاً فهما لسعة اطلاع الله عليه ومدركاً قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾، فيقلّ اعتماده على الرقابة الخارجية (كالقانون، أو البشر، أو العادات) فمراقبته لله تعالى هي المرتكز الأساسي في سلوكه وفي إعماله القلبية حيث إن الشعور الدائم برقابة الله يغرس في النفس الاستقامة، ويجعل المسلم يراقب نفسه في السر والعلن⁽²⁾. دوام علم العبد، وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه. فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله. وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين. والغافل عن هذا بمعزل عن حال أهل البدايات. فكيف بحال المريدين؟ فكيف بحال العارفين؟ قال الجريري: من لم يحكم بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة: لم يصل إلى الكشف والمشاهدة، وقيل: من راقب الله في

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، د. ط، ص 615.

2 المقدسي، مختصر منهاج القاصدين قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، د. ط، ص 372.

خواطره، عصمه في حركات جوارحه⁽¹⁾. وهو أساس مهم في تربية الفرد على الصدق والأمانة وحفظ الحقوق، كما يقرره التربويون أن غرس مراقبة الله في نفوس الأبناء هو أساس بناء الضمير الأخلاقي⁽²⁾. وبذلك فإن المراقبة الذاتية والمحاسبة والضمير الحي إنما يتكون نتاجا لمعرفة الله تعالى ومعرفة أنه السميع البصير ليتكوّن لدى الإنسان إحساساً بالمسؤولية الفردية تجاه نفسه ومجتمعه.

رابعاً: تنمية المحبة والأنس بالله:

إن من الآثار الإيمانية لمعرفة الله عزوجل تنمية محبة الله سبحانه وتعالى في قلب المؤمن فكلما ازداد العبد معرفة بربه ازداد له محبةً وتعظيماً وخضوعاً. كما أن محبة الله من أعلى مقامات الإيمان، فالمحبة ثمرة المعرفة؛ فالقلب لا يحب إلا من عرفه، ولا يعظم إلا من أدرك كماله. وأسماء الله الحسنى باب عظيم لتوليد المحبة، لأنها تكشف للعبد عظم ربه فمثال على ذلك فاسم الله الرحيم يدرك العبد من خلاله سعة رحمة الله، فيمتلئ قلبه حباً لمن رحمته سبقت غضبه وكذلك لكل اسم أو صفة ما يولد محبة الله كالغفور الذي يورث القلب رجاءً ومحبة لمن يغفر الذنب مهما عظم. وقد قال التوحيدي رحمه الله: «كل اسم من أسماء الله يدل على صفة كمال، ومعرفة هذه الصفات تورث محبة الله»⁽³⁾، فالعبد يجد آثار أسماء الله وصفاته في واقع حياته ومن خلال تشريعه وما ادخر لعباده فحين يرى نعم الله الظاهرة والباطنة، يدرك أن الله أهلٌ لأن يُحب فالله المنعم سبحانه القائل ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: فكل نعمة يتقلب فيها العبد فهي من الله ويشمل ذلك النعم القلبية والروحية والتي أعظمها نعمة الهداية والإيمان. قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ﴾ [الحجرات: 7]. كما أن محبة الله محفزا على الطاعة وسلامة الطريق باتباع الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: 31]. فالمحبة الصادقة تُترجم إلى طاعة مقيدة باتباع السنة النبوية دون ابتداع ليثمر ذلك محبة الله المقترنة بلذة العبادة فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"⁽⁴⁾. وفي لفظ عنه أنه ﷺ قال: "لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا الله، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر... الحديث"⁽⁵⁾. كما أن معرفة الله وكثرة ذكره تمنح العبد السكينة قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28] فان معرفة الله تعالى هي الأساس الذي تُبنى عليه محبته، وأن هذه المعرفة تتحقق بالنظر في أسمائه

1 الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، د. ط، ص 65.

2 خير، منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، د. ط، ص 201.

3 التوحيدي، موسوعة فقه القلوب، د. ط، ص 1332.

4 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب بيان الخصال من اتصف بمن وجد حلاوة الإيمان حديث رقم 43.

5 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب باب الحب في الله حديث رقم 5581.

وصفاته وأفعاله ونعمه. وبذلك يتبين انه كلما ازداد العبد معرفةً بربه، ازداد له محبة وقربا، وظهر ذلك على سلوكه وعبادته وطمأنينته وارتقى الى درجات الإيمان والاستقامة في فهم ووعي واتباع في طوعية ومحبة وسعادة.

خامسا: تزكية النفس وتهذيب الأخلاق

إن من الآثار الإيمانية لمعرفة الله تعالى هو تزكية النفس والارتقاء بها والتسامي عن سفاسف الأمور حيث إنها غاية من أعظم الغايات على مر العصور وتتابع الرسالات السماوية، وقد جاءت تزكية النفس من مقاصد خاتم الرسالات ببعثة النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا... يُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة: 2]. فالتزكية هي الطريق إلى الاستقامة وفق المنهج القويم وصلاح القلب والتي تتحقق بمعرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فيتهذب القلب حين يملأه التعظيم والخشية والرجاء والمحبة لربه. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9] فالفلاح مقرون بمعرفة الله وهو الوسيلة الكبرى لتحقيقه. فيتمثل في تطهر النفس من ذميم الأخلاق فتتنمو وتسمو بالأخلاق الحميدة. وقد دلّ القرآن الكريم والسنة النبوية على أن معرفة الله هي معرفة قلبية-وجدانية تعود على المؤمن بالطمأنينة لأقدار الله، والتوازن الانفعالي الذي يضبط السلوك مع المرونة النفسية التي تتعامل مع الحدث بحكمة، والشعور بالمعنى الحقيقي للبلاء كونه امتحان ويجب عبوره بنجاح واستثماره بالصبر والرضا بأقدار الله للظفر بالثواب وبشائر الصابرين في وعي أن الله يحب الصابرين يقول الغزالي: من عرف الله لم يخشَ غيره، ومن أحب الله لم يلتفت إلى سواه. ⁽¹⁾ فكلما ازداد العبد معرفةً بالله، ازداد تزكيةً لنفسه، وابتعد عن المعاصي، وأقبل على الطاعات فيتزكى بمراقبة الله، من خلال البعد عن المعاصي والشبهات والشهوات. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 283]. وتزكى الجوارح بالعلم أن الله يسمعه ويراه وتزكى بالرضا عند البلاء لمعرفة أن الله حكيم رحيم وتزكى وتسمو بالطاعة المعتدلة دون إفراط أو تفريط متمثلة قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ [البقرة: 185]. وبذلك تتولد قوة الإرادة ومجاهدة النفس بمعرفة الله التي تمنح العبد قوة على النفس والدنيا والهوى والشيطان وفي سعادة وطمأنينة. ليتضح جليا أن معرفة الله تعالى هي نعمة ربانية وقوة تربوية تزكي النفوس وتطهرها من أمراضها، وتدفعها إلى الطاعات، وتمنحها سكينة وطمأنينة دائمة. وانه كلما ازدادت معرفة العبد بربه، ازدادت تزكيته لنفسه، وسمى بأخلاقه، واستقام سلوكه، وحقق الاستخلاف الذي هو الغاية التي خلُق من أجلها.

سادسا: تقوية الصبر والرضا في الابتلاء

إن من الآثار الإيمانية لمعرفة الله تعالى تقوية العبد بالصبر الذي هو حبس النفس على ما تكره، ومنعها مما لا يليق كالتسخط من أقدار الله وعدم الرضا وقد جعل الله الصبر من أعظم صفات المؤمنين، فقال تعالى ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّ الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10] فالبلاء هو جزء من سنة الله وحكمته في تربية العباد ورفع درجاتهم. وكم

1 الغزالي، إحياء علوم الدين، د.ط، ص 228.

في البلاء من خير عظيم تترى عليه النفوس فتخرج بصفات ما كانت لتدركها لولا البلاء وما فيه من خيرات كامنة في باطنه فظاهره بلاء وهو عين العطاء لمن صبر فالذي على المؤمن أن يتجاوزه بالصبر والرضا الناتج عن المعرفة بالله التي تُنشئ في القلب الصبر عن يقين بحكمة الله ورحمته وعدله، فالابتلاء سمة الأنبياء ومن سار على نهجهم وهو علامة محبة الله قال النبي ﷺ: إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم⁽¹⁾. فعلم العبد أن البلاء دليل محبة، يورث الصبر ويقوى القلب ويثبت المؤمن دون تسخط أو اعتراض على أقدار الله قال ﷺ: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً"⁽²⁾ أي: وجد لذته في قلبه. كما أن الابتلاء سبب لرفع الدرجات، ومعرفة عطاء الله لعباده الصابرين ووعدده لهم ليوجد أثراً عظيماً يبعث الهمة في تقوية الصابر قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153]. فيكفي المؤمن الصابر شرفاً وقوة إن يختصه الله بمعيته فعبادة الصبر عبادة عظيمة تُظهر صدق الإيمان وقد تسمو بالعبد إلى مقام أعلى من الصبر وهو الرضا الذي يرفع العبد إلى مقام الإحسان، ليظهر بذلك أن معرفة الله تجعل البلاء نعمة في أصله لأن معية الرحمن وفيه تكفيراً للذنوب، ورفعة للدرجات، وقرباً من الله وبهذا الفهم تتحول المحن إلى منحة، والابتلاءات إلى أبواب قرب من الله تعالى. ويستيقن العبد أن الله الحكيم الرحيم لا يقدر الشر المطلق الذي لا خير فيه وإنما هو شر نسبي يكمن في باطنه خير كثير وبشائر للصابرين، فيتعامل مع الابتلاء بمنطق الاستثمار الأمثل للبلاء من خلال الإيمان القضاء لا التمرد؛ فيصبر ويرجو الثواب.

سابعا: التربية على الوحدة المرجعية:

حيث أن معرفة الله تعالى هي توجه الفرد والمجتمع المسلم نحو اعتماد مرجعية واحدة وهي الشريعة الإسلامية التي تمثل الخطة الربانية لبناء الإنسان، فيعمل على ربط المجتمع بالخالق سبحانه وتعالى وينظم عباداته ومعاملاته وقيمه ومعتقداته على نهج سليم معتدل يحقق مجتمعا صالحا وسطا تحافظ فيه الحقوق وتؤدي الواجبات وترتفع فيه الأخلاق؛ وذلك نتيجة حتمية لوحدة المرجعية حيث يتفق المجتمع على فهم المبادئ الأساسية (الخير، والشر، والحلال، والحرام)، مما يعزز الترابط الاجتماعي حتى وإن حدث الاختلاف في الفروع، وبذلك يكون بناء المجتمع المسلم على أساس مشترك واحد، مما يعزز الانتماء والهوية الجماعية والإسلامية⁽³⁾.

ثامنا: تعزيز مبادئ العدل والإنصاف في المجتمع:

إن معرفة الله الحكيم العدل سبحانه وتعالى ليربي المسلم على استشعار الأهمية الكبرى لتعزيز مبادئ العدل والإنصاف كمنهج تقوم عليه الحياة أولا مع الخالق بعبادته وتوحيده والاعتراف بفضله ثم مع جميع البشر

1 أخرجه الترمذي 2396 وابن ماجه 4031 بإسناد فيه لين. قال الترمذي: «حديث حسن غريب من هذا الوجه». وله شاهد من حديث محمود بن لبيد بلفظ: «... فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع». أخرجه أحمد 23623، ورجاله ثقات إلا أن محمودا اختلف في صحبته.

2 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب الدليل على أن من رضي بالله ربا، وبمحمد رسولا فهو مؤمن حديث رقم 34.

3 مجلة البيان ٢٣٨ عددا، تصدر عن المنتدى الإسلامي، ع ٥٤، هوية الأمة الإسلامية ج ٥٤، ص 58.

والمخلوقات بالتعامل معهم بالحسنى والأمانة وتحمل المسؤولية ونبذ الظلم أيا كان مصدره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾. [النحل: 90] ⁽¹⁾. فيرتبط العدل بأمر الله وعبوديته، لا باعتبارات نفعية أو حظوظ نفس وإنما امتثالا للتشريع الإلهي وخشية من المخالفة ليتحوّل العدل من شعارات قانونية جوفاء إلى سلوك تربوي مجتمعي يحفظ الحقوق ويرسي العدل وينصف المظلوم ويؤسس المسؤولية الفردية تجاه النفس والمجتمع والأمة وفق القيم الإيمانية التي توجه سلوكه لينعكس أثر ذلك في المجتمع بالتألف والتعاون على البر والتقوي مما يقوي الجبهة الداخلية للمجتمع ويبث فيه روح الثقة والأمن فيكون الفرد والمجتمع في قوة وصلابة أمام التحديات الدخلة من المجتمعات الأخرى كما يعود على المؤسسات بإتقان الأعمال وإنصاف الخلق وحفظ حقوق المجتمع ونزاهة القضاء. يقول القرطبي «إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد (بالعدل)، وهو الإنصاف، ومن الإنصاف الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته، والشكر له على أفضاله، ونولى الحمد أهله». ⁽²⁾. وبذلك يعم العدل والإنصاف وتسود المجتمع قيم التعاون على الطاعات وتنتشر روح التكافل والتراحم في المجتمع المسلم، قال السعدي: «فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي. والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاولات، بإيفاء جميع ما عليك فلا تبخس لهم حقا ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم. فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحب وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره، وخص الله إيتاء ذي القربى - وإن كان داخلا في العموم - لتأكيد حقهم وتعين صلتهم وبرهم، والحرص على ذلك. ويدخل في ذلك جميع الأقارب قريبتهم وبعيدهم لكن كل ما كان أقرب كان أحق بالبر، وقوله: ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ وهو كل ذنب عظيم استفحشته الشرائع والفطر كالشرك بالله والقتل بغير حق والزنا والسرقة والعجب والكبر واحتقار الخلق وغير ذلك من الفواحش. ويدخل في المنكر كل ذنب ومعصية متعلق بحق الله تعالى، وبالبغي كل عدوان على الخلق في الدماء والأموال والأعراض، فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربى فهي مما أمر الله به. وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى الله عنه. وبها يعلم حسن ما أمر الله به وقبح

1 العرعور، منهج الاعتدال، د. ط، ص 166

2 الطبري، تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، د. ط، ص 334.

ما نحى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال وترد إليها سائر الأحوال، فتبارك من جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور والفرقان بين جميع الأشياء. (1)

تاسعا: ترسيخ رقابة الله فوق رقابة القانون:

إن معرفة الله العليم الذي أحاط علمه بكل شيء لتربي الأفراد والمجتمع على الشعور الدائم والمراقبة الذاتية واليقظة في جميع تحركاتهم ونواياهم لإدراكهم أن الله مطلع عليهم في السر والعلن مما يربي الفرد على مراقبة الله تعالى وخشيته فيسهم في تقليل الجرائم الخفية (الرشوة، الغش، استغلال السلطة...) حتى في غياب الرقيب البشري كنتيجة حتمية لمعرفة الله تعالى واتباع شريعته فيتكون مجتمعا يحفظ الحقوق ويؤدي الواجبات في يسر واحتساب، وكما قال ابن القيم أن العلم بالله تعالى واليقين هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله. وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين⁽²⁾، وذلك أن التربية التي تكتفي بالتحذير من العقوبة القانونية والبشرية لتنتج التزام الصوري بعكس التربية التي ترسخ المعرفة بالله وبعلمه وإحاطته ومنهجه القويم الذي يكافئ فيه الصالح ويحاسب ويعاقب العاصي، الذي يبقى ويرسخ مع زوال الرقابة البشرية والقانونية.

عاشرا: إدراك مفهوم الشهادة على الناس

إن معرفة الله عزوجل لتعزز لدى الفرد والمجتمع المسلم ادراك مفهوم الشهادة على الناس الذي جاء في سياق بيان المكانة العظيمة التي خص الله بها الأمة الإسلامية الوسط ودورها الرسالي في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: 143] في الدنيا بتبليغ رسالته سبحانه وتعالى كما امر بالحكمة والموعظة الحسنة وفي الآخرة بالشهادة بإثبات تبليغ الرسل للأمم السابقة لامة الإسلام وقد جاء في تفسير الشيخ القرطبي أن(الشهادة في الدنيا بالبلاغ والدعوة والقدوة والشهادة في الآخر بإثبات تبليغ الرسل⁽³⁾). فامة الإسلام لها دور محوري عظيم مناط بها في الدعوة الى الله بالقول الذي يصدقه العمل في حكمة وإحسان كنماذج يقتدى بها ثم يكون لها الشرف الأكبر في الآخرة لعداتها فتشهد للرسل وتقبل شهادتها كما روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يُدعى نوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم يا رب. فيُسأل قومه: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أأتانا من نذير. فيقول الله لنوح: من يشهد

1 السعدي، تفسير القرآن، = تيسير الكريم الرحمن، د.ط، ص 447.

2 الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، د.ط، ص 65.

3 الطبري، تفسير الطبري، د.ط، ص 629.

لك؟ فيقول: محمد وأمته. قال: فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾. فيُبدعون فيشهدون له بالبلاغ. (1).

وفي ذلك إظهار لمكانة الأمة الإسلامية بين الأمم وبما خصها الله تعالى به من فضل على من سواها وما يجب أن تتربى عليه الأمة ويرى الشيخ الرازي (أن الشهادة تعني أن الأمة تكون نموذجًا يُحتذى في الاعتدال والحق، وأن شهادتها ليست قولًا فقط بل سلوكًا وحضارة (2)، وفي ذلك دلالة واضحة على أهمية التربية على المنهجية الصحيحة لرفعة المجتمعات وكصمام أمان لبقائها شامخة وأهمية الاعتدال والوسطية والتمسك بالعدل والحق كما ذكر ابن عاشور رحمه الله أن (الأمة الوسط هي الأمة التي تحمل رسالة الإصلاح العالمي، وأن شهادتها تكون بالحل والمقال فقال: لأن الله أراد لهاته الأمة أن يكون علماءها مشرعين. وبين فائدة هذا البيان على هذا الأسلوب بقوله: لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة أي ليحصل للأمة تفكير وعلم في أمور الدنيا وأمور الآخرة، لأن التفكير مطرووف في الدنيا والآخرة، فتقدير المضاف لازم بقرينة قوله والآخرة إذ لا معنى لوقوع التفكير يوم القيامة فلو اقتصر على بيان الحظر والوجوب والثواب والعقاب لكان بيانًا للتفكير في أمور الآخرة خاصة ولو اقتصر على بيان المنافع والمضار بأن قيل: قل فيهما نفع وضر لكان بيانًا للتفكير في أمور الدنيا خاصة، ولكن ذكر المصالح والمفاسد والثواب والعقاب تذكير بمصلحتي الدارين، وفي هذا تنويه بشأن إصلاح أمور الأمة في الدنيا، ووقع في كلام لعلي بن أبي طالب وقد ذم رجل الدنيا عنده فقال له: «الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ومهبط وحي الله ومصلى ملائكته ومسجد أنبيائه فمن ذا الذي يذمها وقد آذنت ببينها. (3) وذلك بالتربية الصالحة والبناء الفكري المتزن وإحياء الهمة والعزم بادراك المكانة حيث أن الشهادة تتطلب العلم، والعدل، والقدوة، وهي صفات تبني شخصية قوية ومتوازنة. (4) والذي يؤدي الى بناء الوعي بالدور الريادي لأمة الإسلام وبذلك يتبين أن مفهوم الشهادة على الناس مفهوم عميق يحدد هوية ودور أمة الإسلام في الدنيا والآخرة وأن معرفة الله هي معرفة تربوية تُنشئ الإنسان الرباني الذي يحمل رسالة الشهادة على الناس، وإن في إحياء معنى أمة الشهادة استعادة لدور الأمة الحضاري الفاعل في العالم، والشاهد على الحق، والداعي إليه، ويتواجد كقدوة تحقق التكامل بين المعرفة بالله والوظيفة الرسالية للأمة، في إطاره التربوي الشامل الذي يحقق الإيمان والإصلاح والاستخلاف من خلال تعزيز المسؤولية الدعوية والأخلاقية للمجتمع المسلم الذي يحمل رسالة المنهج القويم ويحقق الأحكام الشرعية في حياته العملية ويجنب المجتمع الغفلة والانحراف التي تؤدي بدورها إلى فساد

1 أخرجه البخاري في الصحيح كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى {إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم} إلى آخر السورة {واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبير عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله} إلى قوله {من المسلمين}. ج4، ص 134، برقم 3339.

2 الرازي، تفسير = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، د.ط، ص 87.

3 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، د.ط، ص 353.

4 المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، د.ط، ص 375.

المجتمع والإخلاق بثوابته وتوازنه ليكون بذلك المجتمع القدوة الذي يحمل رسالة الإسلام كرسالة عالمية لإنقاذ البشرية والذي يترتب على ذلك وجودها كنموذج مثالي للأمم الأخرى فشريعته هي الخاتمة للشرائع وهي الأمة الوسط المتميزة في منهجها وسلوكها وقيمها المحققة لمفهوم الريادة والمسؤولية الدعوية بالقول والعمل وبناء القدوات من الأفراد والمجتمعات لتكون تلك المفاهيم التي تحدد هوية الأمة الرائدة ودورها في الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث: الآثار النفسية لمعرفة الله تعالى

إن لمعرفة الله تعالى مالك الملك والإيمان به آثار نفسية جليلة فهي أهم ما يقوم عليه البناء النفسي المتزن للفرد المسلم والمجتمع فكلما ازداد معرفة بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله ازداد اتزاناً وثباتاً وقوة نفسية فيما أن معرفة الله هي الركيزة الأساسية في التصور الإسلامي⁽¹⁾، فلها الأثر البالغ في التصور العقدي الذي يبني القوة والصبر فعندما ترتبط النفس البشرية ارتباطاً وثيقاً بما تعتقده عن ربها فانه ينعكس على صحتها و توازنها النفسي ليسهل عليها استدعاء ما تعتقده عن تعرضها لأي موقف فتوظف اعتقادها في الخروج بسلام وتوازن نفسي وصلابة نفسية يثمر سلوكاً متزناً في التعامل مع المواقف الطارئة والأزمات وقد دلّ القرآن الكريم والسنة النبوية على أن معرفة الله هي معرفة قلبية-وجدانية تعود على المؤمن بالطمأنينة لأقدار الله، والتوازن الانفعالي الذي يضبط السلوك مع المرونة النفسية التي تتعامل مع الحدث بحكمة، والشعور بالمعنى الحقيقي للبلاء كونه امتحان ويجب عبوره بنجاح واستثماره بالصبر والرضا بأقدار الله للظفر بالثواب وبشائر الصابرين في وعي أن الله يحب الصابرين يقول الغزالي: من عرف الله لم يخشَ غيره، ومن أحب الله لم يلتفت إلى سواه⁽²⁾، وذلك أن معرفة الله تُحرر النفس من الخوف والقلق كما تؤكد الدراسات النفسية الحديثة أن الإيمان بالله المبني على معرفة صحيحة، يكون مصدراً للصحة النفسية والاتزان الانفعالي، ومن تلك الآثار النفسية لمعرفة الله تعالى:

الأول: الطمأنينة القلبية

إن معرفة الله تعالى هي المصدر الأول للطمأنينة القلبية والسكينة والرضا بأقدار الله تعالى كنتيجة حتمية لمعرفة أن الله تعالى لا يقدر الشر المطلق الذي لا خير فيه وإنما يقدر الشر النسبي الذي تراه أعين البشر شراً وهو في باطنه خير محض في حاله ومآله عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عجبا لأمر المؤمن. إن أمره كله خير. وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سراء شكر. فكان خيراً له. وإن أصابته ضراء صبر. فكان خيراً له"⁽³⁾ ففي هذا الحديث ترسيخ للطمأنينة القلبية التي تقوم على الثقة بالله الحكيم في أقداره الخبير بما يصلح حال عباده الذي يقدر بحكمة ورحمة ولطف وقد نصّ القرآن على هذا الأثر في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَظْمِنُ الْقُلُوبُ﴾. [الرعد: 28] يقول ابن كثير في تفسير الآية: "أي: تطيب وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيراً"⁽⁴⁾ فذلك حال من عرف الله عزوجل وذكره في وعي وإدراك لمعاني أسمائه وصفاته وأفعاله فمعرفة انه حكيم تولد الطمأنينة لاختياره واسم الله اللطيف تذكر المؤمن بلطف الله في

1 مجلة البيان ٢٣٨ عدداً، تصدر عن المنتدى الإسلامي ٢١٠ - صفر - ١٤٢٦ هـ المسلم وتأثيرات الإيمان النفسية، ص 5.

2 الغزالي، إحياء علوم الدين، د. ط، ص 228.

3 أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير ج 4، ص 2295 ت عبد الباقي برقم 2999.

4 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، د. ط، ص 455.

قضائه وكذلك الرحمة فالطمأنينة هنا ليست مجرد هدوء مؤقت، بل هي كما ذكر الشيخ السعدي "أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها. (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أي: تحقيق بها وحرى ألا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألد للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح وتحليل وتكبير وغير ذلك. وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين، فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام." (1). كما أن ذلك الأثر العظيم لينعكس على نفس المؤمن فيقيها من الأمراض النفسية كالإكتئاب والقلق وغيرها فتحيا في توازن وثقة في حسن تدبير الحكيم الخبير وفي صحة نفسية تعينها على العبور الأمن للبلاء وقد أشارت كتب علم النفس الإسلامي إلى أن الطمأنينة الناتجة عن الإيمان بالله تمثل أحد أهم عوامل الوقاية من القلق والإكتئاب (2). ويتأكد هذا المعنى في قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]. ففي هذه الآية يظهر الأثر الأكبر لمعرفة الله تعالى وأن ما يترتب عليه من الطمأنينة النفسية والوعي الإيماني ليست مجرد حالة شعورية، بل ثمرة مباشرة وحقيقة واضحة لمعرفة الله والقرب منه والتزام شرعه في منهجية التعامل مع البلاء.

ثانيًا: الأمن النفسي الناتج عن معرفة الله

إن معرفة الله تعالى لتوفر للمرء الأمن النفسي العميق الذي يمثل الاستقرار الداخلي الذي يشعر الإنسان بالطمأنينة، والسكينة، والثقة في تدبير الحكيم الخبير، مما يؤدي بالمؤمن الى القدرة على مواجهة الحياة في قوة وثبات وصبر دون خوف أو اضطراب عند مواجهة المشكلات وفي قدرة على التعامل معها في حكمة وتوازن دون انهيار أو قلق زائد. وذلك أن الأمن النفسي يرتبط بمعرفة الله ارتباطاً وثيقاً، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]. يفسر الطبري الأمن هنا بأنه "الأمن من المخاوف في الدنيا والآخرة" فقال: «هذا فصل القضاء من الله بين إبراهيم خليله عليه السلام، وبين من حاجه من قومه من أهل الشرك بالله، إذ قال لهم إبراهيم: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾. فقال الله تعالى فاصلاً بينه وبينهم: الذين صدقوا الله، وأخلصوا له العبادة، ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصدقهم له (بظلم). يعني: بشرك، ولم يشركوا في عبادته شيئاً، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصاً -

1 السعدي، تفسير = تيسير الكريم الرحمن، د. ط، ص 417.

2 زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، د. ط، ص 351.

أحق بالأمن من عقابه مكروه عبادته ربه، من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنام، فإنهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم، أما في عاجل الدنيا، فإنهم وجلون من حلول سخط الله بهم، وأما في الآخرة، فإنهم الموقنون بأليم عذاب الله.⁽¹⁾ ويؤكد الرازي أن الأمن النفسي يتحقق حين يدرك الإنسان أن الله هو المتصرف الحكيم، وأن ما يجري عليه من أقدار هو لحكمة ورحمة⁽²⁾. فالأمن النفسي نتيجة معرفة الله هو أعمق أنواع الأمن حيث يتولد كشعور داخلي راسخ في القلب فلا يعتمد على الظروف الخارجية وإنما ينبع من علاقة الإنسان بربه الرحيم به القريب منه المدبّر لأمره الحكيم فيما يقدر القادر على كل شيء لتُنشئ معرفة الله تعالى في النفس كل ما يجعل الإنسان مطمئنًا مهما تغيّرت الظروف مستشعرا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ [يوسف: 64]، ذلك لأنه مؤمن بأن الأمور بيد الله تعالى ولا يستطيع البشر فعل أي شيء لها سواء كان نافعًا أو ضارًا، فالأساس الذي يبنى عليه الأمن النفسي يتحقق بحفظ الله تعالى من خلال الالتزام بأوامره واتباع منهجه مع الإيمان بعظمته وتديّره، فهو المتحكم فوق عباده ولا يملك أحد لأحد شيئًا إلا بإرادته سبحانه، وبذلك يتحقق له الأمن النفسي الذي يؤدي بدوره إلى حياة مستقرة وسعيدة راضية بالقضاء والقدر.

ثالثًا: المعنى والغاية من الوجود

إن معرفة الله تعالى هي مصدر الاستقرار النفسي والسلامة من الشتات الذي يزود الإنسان بالإجابة الشافية على الكثير من الأسئلة الرئيسية لبناء الاستقرار النفسي ومنها الإجابة على من أوجد الإنسان ولما وجد وإلى أين سيصير وهل هنالك آخره فيدرك أهمية وجوده والمعنى والغاية من الوجود فيجد الجابة الشافية وتبديد حيرته ويذكر زهران: "أن الإيمان والقرآن حين يذكّر الإنسان بأن الله هو الذي خلقه ورزقه قبل وجوده، فإنه يزيل عنه القلق والخوف، ويمنحه شعورًا بالأمان النفسي"⁽³⁾. كما يزوده بما يحتاجه من المعرفة كتكريم الله للإنسان من الخلق إلى الخلود لتكون محفزًا له فيستشعر أهميته ومكانته بين المخلوقات مما يولد لديه المشاعر المحفزة لبناء حياة كريمة واضحة الهدف ربانية المنهج محققا الغاية من وجوده كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، يقول ابن عاشور: "فقال: فالعبادة على الجملة لا تخرج عن كونها محققة للمقصد من الخلق، ولما كان سر الخلق والغاية منه خفية الإدراك عرفنا الله تعالى إياها بمظهرها وما يحققها جمعا لعظيم المعاني في جملة واحدة وهي جملة: إلا ليعبدون، وقريب من هذا التقرير الذي نخونه وأقل منه قول الشيخ ابن سينا في «الإشارات»: (لما لم يكن الإنسان بحيث يستقل وحده بأمر نفسه إلا بمشاركة آخر من بني جنسه وبمعاوضة ومعارضة تجريان بينهما يفرغ كل واحد منهما لصاحبه عن مهم لو تولاه بنفسه لازدحم على الواحد كثير وكان مما

1 الطبري، تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، د. ط، ص 368.

2 الرازي، تفسير = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، د. ط، ص 49.

3 زهران، حامد عبد السلام، د. ط، ص 351.

يتعسر إن أمكن، وجب أن يكون بين الناس معاملة وعدل يحفظه شرع يفرضه شارع متميز باستحقاق الطاعة ووجب أن يكون للمحسن والمسيء جزاء من عند القدير الخبير، فوجب معرفة المجازي والشارع وأن يكون مع المعرفة سبب حافظ للمعرفة ففرضت عليهم العبادة المذكرة للمعبود، وكررت عليهم ليستحفظ التذكير (بالتكرير) اهـ⁽¹⁾. أي أن العبادة هنا مبنية على المعرفة، والمعرفة هي التي تمنح الوجود الإنساني غايته. كما أن معرفة الله تعالى تجعل المؤمن دائم التواصل مع خالقه في جميع ظروفه مما يعزز الإحساس بالقرب من الله والسكينة والاستقامة على الطريق المستقيم، وبذلك يعيش المؤمن واضح الرؤية صحيح النهج مدركا للمصير من أين جاء ولماذا يعيش وإلى أين سيعود وما هو طريق الفوز في الدنيا والآخرة ليحقق بذلك الجواب الذي يأخذه إلى النجاة والسعادة ويحقق معنى الاستخلاف .

رابعاً: التوازن الانفعالي بين الخوف والرجاء

إن معرفة الله تعالى لتوجد التوازن الذي يبني الصحة النفسية لدى المؤمن ويحول دون الحياد عن الجادة وذلك بالجمع بين الترغيب في الثواب والترهيب من العقاب قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾. [الحجر: 49-50] يقول القرطبي: " وقوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أخبر عبادي يا محمد، أني أنا الذي أستر على ذنوبهم إذا تابوا منها وأنا بوا، بترك فضيحتهم بها، وعقوبتهم عليها، الرحيم بهم أن أعذبهم بعد توبتهم منها عليها. ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ يقول: وأخبرهم أيضا أن عذابي لمن أصر على معاصي، وأقام عليها، ولم يتب منها، هو العذاب الموجه الذي لا يشبهه عذاب. هذا من الله تحذير لخلقه التقدم على معاصيه، وأمر لهم بالإقامة والتوبة. " (2). " وفيها جمع الله لعباده بين الترغيب والترهيب ليكونوا بين الخوف والرجاء، فلا يئأسوا ولا يأمنوا. حيث أن لمنهج التربوي القويم ينمي التوازن النفسي الذي يسعى إليه المؤمن ليكون الترغيب محفزا للمؤمن على الطاعات ومحاسن الأعمال والأخلاق والنوايا كما يكون الترهيب رادعا للعبد عن المعاصي والذنوب ومساوئ الأخلاق والنوايا وفي ذلك عوننا من الله للعباد على صلاح انفسهم وواقعهم فتعمهم السعادة والحياة الطيبة مستبشرين بفضل الله عليهم بقبول الطاعات فيملا حياتهم التفاؤل بفضل الله الكريم ومهما قصرُوا يعودون لله رهبة من عقابه في حسن ظن بالله دون ياس أو إحباط فيصلح العباد ويصلح المجتمع والأمة. وهكذا التربية التي تقتصر على التلقين دون التطبيق، فإنها تنتهي بالإنسان إلى اليأس والإحباط، وعدم تصديق الدعاوى المنادية بالقيم الخيرة، والأعمال الإيمانية الصالحة. وهنا تبدو حكمة الله تعالى في تخصيص أكبر مقتله للذين يقولون ما لا يفعلون. فالمجتمع الذي يتربى على معرفة الله من خلال الهدايات القرآنية، يعيش بروح الأمل والتفاؤل، ويبتعد عن اليأس والإحباط، ومن خلاله تتحقق العبودية الصحيحة

1 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، د. ط، ص 182.

2 الطبري، تفسير الطبري، د. ط، ص 81.

لله تعالى في رغبة صادقة لنيل رضوان الله من خلال المسارعة في الخيرات التي تنعكس على نفسه بالطمأنينة والسكينة والشعور الجميل بالإنجاز والتفاؤل فيما اعدّه الله ووعد به من الثواب مع الحرص على الإتقان وفي ذات الوقت يجتنب المعاصي والآثام ويتجنب التقصير خشية الله تعالى مما يورث قلبه الإيمان الذي يمن الله به على عباده نتيجة لخشيته كما أن اجتناب المعاصي يقيه من الضنك والقلق الذي هو نتيجة حتمية للمعرضين عن الله قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ سورة طه - الآية 124 يقول ابن كثير إن معنى الآية: "من ترك ما أنزل الله من القرآن والذكر، فلم يعمل به، فإن الله يجعل له معيشة ضنكًا في الدنيا، أي: تكون ضيقة، ولو كان ظاهرها واسعًا، لكنه يعيش في ضيق الصدر والقلق والهَمِّ" (1). وبذلك فإن حياة المؤمن بين الخوف والرجاء لتحقيق له هذا التوازن الذي يُعَدُّ من أهم عوامل الصحة النفسية، كما أنه يمنع الانهيار واليأس أو الانفلات والأمن من العقاب.

خامسًا: الصبر والمرونة النفسية

إن معرفة الله تعالى لتنعكس على حياة المؤمن بالقدرة على الصبر والتحمل لما تجري به الأقدار كنتيجة لعلمه بالله وبشائره للصابرين ومعينته التي يحضون بها كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: 11] يقول ابن كثير: "أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعوّضه عما فاتته من الدنيا هُدى في قلبه، وبقينا صادقًا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيرًا منه". (2). أي: يهدي قلبه للرضا والتسليم فيكون الصبر حماية وعلاجًا له تأثيرًا على النفس إذ يخفف من أثر الصدمة وتداعياتها ويزيد من القدرة على الثبات وتجاوز الحزن في اتزان نفسي. ويقول السعدي: في مقام المصائب الخاص، وأما ما يتعلق بها من حيث العموم اللفظي، فإن الله أخبر أن كل من آمن أي: الإيمان بالمأمور به، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وصدق إيمانه بما يقتضيه الإيمان من القيام بلوازمه وواجباته، أن هذا السبب الذي قام به العبد أكبر سبب لهداية الله له في أحواله وأقواله، وأفعاله وفي علمه وعمله. وهذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان، كما قال تعالى في الأخبار: أن المؤمنين يثبتهم الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة. وأصل الثبات: ثبات القلب وصبره، ويقينه عند ورود كل فتنة، فقال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فأهل الإيمان أهدى الناس قلوبًا، وأثبتهم عند المزعجات والمقلقات، وذلك لما معهم من الإيمان. (3). ذلك أن معرفة الله تمنح الإنسان قدرة على التحكم في

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، د. ط، ص 323.

2 المرجع السابق ص 137.

3 السعدي، تفسير = تيسير الكريم الرحمن، د. ط، ص 867.

مشاعره وتوجيهها نحو الخير وتحميه من الانقياد لوساوس الشيطان ومتاهات النفس البشرية الضعيفة ليظفر بثواب والمعية الربانية.

سادساً: التحرر من التعلق والخوف من البشر

إن معرفة الله تعالى هي الحرية الحقيقية التي تحرر المؤمن من العبودية لغير الله والخوف من البشر قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: 175. فمعرفة الله هي التي تُعيد الفهم الصحيح لمعنى الحرية الذي يحرق الإنسان من الارتباط بمخاوف النفس مما سواه، فلا يخاف المؤمن إلا الله وذلك يأتي كنتيجة للمعرفة بعظم صفات الكمال لله تعالى والعظمة في الكون وان كل شيء في قبضته ووفق تديره وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَاشَوْا اللَّهَ﴾ [المائدة: 44]. يقول ابن تيمية: "فعلينا أن نخاف الله ونتقيه في الناس، فلا نظلمهم بقلوبنا ولا جوارحنا ونؤدي إليهم حقوقهم بقلوبنا وجوارحنا، ولا نخافهم في الله فنترك ما أمر الله به ورسوله خيفة منهم. ومن لزم هذه الطريقة كانت العاقبة له كما كتبت عائشة إلى معاوية: "أما بعد: فإنه من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس وعاد حامده من الناس ذاماً، ومن التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس". (1) فالبشر جميعاً في قبضة الله تجري فيهم أقداره وإرادته ولا يملكون لأنفسهم أو لغيرهم من خير أو شر إلا بما يأذن به الله تعالى مالك الملك في ملكه ولعبادة. وقال ابن عاشور: "لأن معنى خشية الناس هنا أن تخالف أحكام شريعة التوراة أو غيرها من كتب الله لإرضاء أهوية الناس، ويجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً عقبته به تلك العظات الجليلة. وعلى الوجهين المقصود اليهود وتحذير المسلمين من مثل صنعهم." (2) حيث أن التعلق بالله تعالى يحرر المؤمن من التعلق بالبشر ورجاء نفعهم وخشية ضررهم لثقتهم جميعاً نواصيهم بيده مقيدون بإرادة الله تعالى الواحد الأحد وقد روى الترمذي (2516) وصححه عن ابن عباس، قال: "كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَفْالَامُ وَجُفَّتِ الصُّحُفُ." (3) ففي ذلك التوجيه النبوي الأسس التي تبني الاعتقاد الذي يُكسب المؤمن قوة في مواجهة الابتلاءات، لأنه يدرك أن كل ما يجري بتقدير الله الحكيم وله في أقداره حكمه وكل ما يكتبه على عباده من أقدار لهم فيه خير والأمر له وحده سبحانه قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾

1 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، د. ط، ص 233.

2 تفسير ابن عاشور، التحرير والتنوير د. ط 6/ 210.

3 أخرجه الترمذي في السنن أبواب صفة القيامة والرفاق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ج 4، ص 667، برقم 2516، قال الترمذي رحمه الله: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ". وقال ابن رجب. عن طريق الترمذي هذه: "حسنة جيدة" انتهى من "جامع العلوم والحكم" 483/1، وصححه الألباني في "صحيح الترمذي".

[التوبة، الآية 51] وقد علّق السعدي بأن هذه الآية أي: قدره وأجره في اللوح المحفوظ. «هو مولانا» أي: متولي أمورنا الدينية والدنيوية، فعلينا الرضا بأقداره وليس في أيدينا من الأمر شيء، وأنهم يعتمدوا عليه في جلب مصالحهم ودفع المضار عنهم، ويثقوا به في تحصيل مطلوبهم، فلا خاب من توكل عليه، وأما من توكل على غيره، فإنه مخذول غير مدرك لما أمل. ⁽¹⁾ إن معرفة العبد بحكمة الله وعدله ورحمته تجعله واثقا في حسن تدبيره راضيا بقضائه، مطمئنا إلى قدره. قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن: 11]. قال السعدي رحمه الله: «يقول تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ هذا عام لجميع المصائب، في النفس، والمال، والولد، والأحباب، ونحوهم، فجميع ما أصاب العباد، فبقضاء الله وقدره، قد سبق بذلك علم الله [تعالى]، وجرى به قلمه، ونفذت به مشيئته، واقتضته حكمته، والشأن كل الشأن، هل يقوم العبد بالوظيفة التي عليه في هذا المقام، أم لا يقوم بها؟ فإن قام بها، فله الثواب الجزيل، والأجر الجميل، في الدنيا والآخرة، فإذا آمن أنها من عند الله، فرضي بذلك، وسلم لأمره، هدى الله قلبه، فاطمأن ولم يزعج عند المصائب، كما يجري لمن لم يهد الله قلبه، بل يرزقه الثبات عند ورودها والقيام بموجب الصبر، فيحصل له بذلك ثواب عاجل، مع ما يدخر الله له يوم الجزاء من الثواب كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وعلم من هذا أن من لم يؤمن بالله عند ورود المصائب، بأن لم يلحظ قضاء الله وقدره، بل وقف مع مجرد الأسباب، أنه يخذل، ويكفه الله إلى نفسه، وإذا وكل العبد إلى نفسه، فالنفس ليس عندها إلا الجزع والهلع الذي هو عقوبة عاجلة على العبد، قبل عقوبة الآخرة، على ما فرط في واجب الصبر. هذا ما يتعلق بقوله: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ في مقام المصائب الخاص، وأما ما يتعلق بها من حيث العموم اللفظي، فإن الله أخبر أن كل من آمن أي: الإيمان بالمأمور به، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وصدق إيمانه بما يقتضيه الإيمان من القيام بلوازمه وواجباته، أن هذا السبب الذي قام به العبد أكبر سبب لهداية الله له في أحواله وأقواله، وأفعاله وفي علمه وعمله. وهذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان، كما قال تعالى في الأخبار: أن المؤمنين يثبتهم الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة. وأصل الثبات: ثبات القلب وصبره، ويقينه عند ورود كل فتنة، فقال: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ فأهل الإيمان أهدى الناس قلوبا، وأثبتهم عند المزعجات والمقلقات، وذلك لما معهم من الإيمان. ⁽²⁾، فمن علم أن المصيبة من عند الله رضي وسلم ولم يتسخط، وفي ذلك دليل على صدق الإيمان بالله وإنما يتباين الناس في الثبات في الحن وفق مقدار الإيمان الذي في قلوبهم فمن زاد إيمانه ازداد صبره وثباته ومن قل إيمانه يخشى عليه من الجزع وضياح الأجر وهنا تظهر أهمية التربية الإيمانية. وقال ابن القيم رحمه الله: "الرضا بالقضاء باب الله الأعظم، وجنة الدنيا... فمن رضي عن ربه رضي الله عنه، بل رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه، فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده:

1 السعدي، تفسير = تيسير الكريم الرحمن، د. ط، ص 339.

2 السعدي، تيسير الكريم الرحمن، د. ط، ص 867.

رضا قبله أوجب له أن يرضى عنه، ورضا بعده هو ثمرة رضاه عنه. ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين، وقرة عيون المشتاقين. ومن أعظم أسباب حصول الرضا: أن يلزم ما جعل الله رضاه فيه، فإنه يوصله إلى مقام الرضا ولا بد. قيل ليحيى بن معاذ رحمه الله: متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا؟ فقال: إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه، فيقول: إن أعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبت، وإن دعوتني أجبت. وقال الجنيد رحمه الله: الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلب، فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا" (1).

سابعاً: التدين أساس الصحة النفسية

إن التدين هو أثر نفسي أساسي لمعرفة الله تعالى يقوي المؤمن ويوفر له الحصانة التي يجتاز بها الصعاب ويعزز الصحة النفسية وجودة حياة المسلم، في منظومة من المشاعر التي بنيت على معاني جليلة للصبر والرضا والإيمان بالقضاء والقدر والثقة في حسن تدبير الخالق من المعتقدات السامية والممارسات والقيم الأخلاقية البناء كحفظ النفس بطاعة الله وإلزامها بالمنهج والمداومة على التلاوة للقرآن والأذكار والمصارعة في الخيرات التي توجه سلوك المؤمن وتمنحه الإطار الصحيح لفهم ذاته والعالم من حوله. فالقيم الدينية مثل الصبر، والرضا، والتوكل، والتسامح، تغرس وعياً يعمل كآلية نفسية فعالة في مواجهة آثار الهموم والضغوط النفسية، كما تساهم في ضبط الانفعالات. وتجاوز الصدمات. وإن صناعة الفرد المتوازن نفسياً والذي يتمتع بالصحة النفسية التي يحققها الإيمان بالله ليساهم في تكوين شكل المجتمعات التي تتميز بروابط اجتماعية قوية وتراحم وتعاون ومشاعر مشتركة في الأفراح والأحزان، نابعة من احتساب للثواب مما يوفر مجتمعاً يتمتع بدعماً نفسياً وعاطفياً يساهم في تعزيز الصحة النفسية. فالجتماع المسلم المتدين أقل عرضة للاكتئاب وأكثر قدرة على التكيف مع تقلبات الأحداث كما يتمتعون بدرجة أعلى من الرضا عن أقدار الله وعن الحياة كما أنه يقلل من اضطرابات ما بعد الصدمة فيخفف القلق والخوف يعزز التوازن والصمود النفسي وذلك أن الإيمان بالله والاستقامة على المنهج يخفف القلق الوجودي ويمنح الإنسان شعوراً بالأمان والطمأنينة، وهو ما تؤكد الآية: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]. يقول ابن كثير في تفسير الآية: "أي: تطيب وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيراً" (2). ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: تحقيق بها وحرى ألا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألد للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح وتحليل وتكبير وغير ذلك. وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين، فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها،

1 الجوزية، مدارج السالكين، د. ط، ص 480.

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، د. ط، ص 455.

فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام.⁽¹⁾ يتضح مما سبق أن التدين هو أساسا في تعزيز الصحة النفسية، إذ يمنح للإنسان المعنى الحقيقي للحياة، كما يمنحه القدرة على التكيف مع الأحداث، ويقلل من القلق والاكتئاب، ويقوي روابط ه الاجتماعية في تعاون على الخير. مما يجعله ممن يتمتعون بمستويات أعلى من التوازن النفسي مقارنة بغير المتدينين، ليكون التدين عنصراً محورياً في بناء الصحة النفسية للفرد والمجتمع.

1 السعدي، تفسير، د. ط، ص 417.

الخاتمة

لقد أظهرت هذه الدراسة أن معرفة الله تعالى من خلال النعم الإلهية الممهّدة لوجود الإنسان ليست مجرد معرفة نظرية أو قضية عقدية مجردة، وإنما هي معرفة شاملة تمتد آثارها إلى بناء الإنسان في أبعاده الإيمانية والتربوية والنفسية. فالتأمل في تلك النعم يكشف عن كمال الحكمة الإلهية، وعظيم الرحمة الربانية، ودقة النظام الكوني الذي أُعدّ لاستقبال الإنسان، مما يرسّخ في قلبه اليقين بوحداية الله تعالى، وعظيم قدرته، وشمول علمه وتديره. وقد بيّنت الدراسة أن استحضار هذه النعم يسهم في بناء العقيدة الصحيحة القائمة على التوحيد وتعظيم الله ومحبته، ويثمر الخشية والمراقبة والتوكل والشكر، ويقود إلى عبادة واعية قائمة على المعرفة والبصيرة. كما أن لهذه المعرفة أثراً تربوياً بالغاً في تشكيل شخصية المسلم؛ إذ تنقل التوحيد من مجرد اعتقاد ذهني إلى منهج حياة يوجّه السلوك، ويزكي النفس، ويؤسس للقيم الأخلاقية والاجتماعية، ويعزز مسؤولية الإنسان في إصلاح نفسه ومجتمعه. كما كشفت الدراسة عن البعد النفسي العميق لمعرفة الله تعالى، حيث تمنح الإنسان الطمأنينة والأمن الداخلي، وتساعد على فهم معنى وجوده وغاية حياته، وتحقيق له التوازن بين الخوف والرجاء، وتعينه على مواجهة الابتلاءات بثبات ورضا، وتحرره من الخضوع النفسي للمخلوقين من خلال تعظيم تعلقه بالخالق سبحانه وتعالى. وبناءً على ذلك، فإن معرفة الله تعالى من خلال النعم التي سبقت خلق الإنسان تمثل مدخلاً قرآنياً أصيلاً لبناء الإنسان المتوازن الذي يجمع بين صحة الاعتقاد، واستقامة السلوك، والاستقرار النفسي. كما تؤكد الدراسة أن الحاجة اليوم أصبحت أكثر إلحاحاً إلى تفعيل هذا الجانب في التربية الإسلامية؛ لمواجهة مظاهر الفراغ الروحي، والاضطراب القيمي، والأزمات النفسية التي يشهدها الإنسان المعاصر. وعليه، فإن إدماج الهدايات القرآنية المتعلقة بالنعم الإلهية ومعرفة الله تعالى في المناهج التعليمية والبرامج التربوية يمكن أن يسهم في بناء جيل واعٍ بربه، معترٍ بإيمانه، متوازن في شخصيته، قادر على الجمع بين العلم والعمل، وبين التقدم الحضاري والمرجعيات الإيمانية الراسخة.

شكر وتقدير

هذه مسئلة علمية مستخرجة من رسالة دكتوراه قُدمت لنيل درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن بكلية العلوم الإسلامية، بجامعة المدينة العالمية في ماليزيا سنة 2026م، استيفاءً لمتطلبات التخرج. وأتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير إلى الأستاذ المشارك الدكتور عبد العالي باي زكوب، والأستاذ الدكتور يوسف محمد عبده محمد العواضي، المشرفين الكريمين على الرسالة والمراجعين لهذه المسئلة، لما قدّماه من توجيهات علمية سديدة ونصائح قيّمة كان لها بالغ الأثر في إخراج هذا العمل. كما أرفع الشكر إلى جامعة المدينة العالمية على ما أتاحتها من بيئة علمية محفّزة وما قدّمته من دعمٍ علمي أسهم في إتمام هذه المرحلة الأكاديمية.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

- [1] Abdelali Bey Zekkoub. (2024). Crucial Steps Towards a More Beneficial Contemplation Upon The Book Of Allāh Almighty: A Thematic Analysis Study. *Ma'ālim Al-Qur'ān Wa Al-Sunnah*, 20(1), 1–44. <https://doi.org/10.33102/jmq.s.v20i1.418>
- [2] Al-'Ar'ūr, 'Adnān ibn Muḥammad. (2002). *Manhaj al-i'tidāl*. Dār al-Tābi'in.
- [3] Al-Aṣfahānī, Abū al-Qāsim al-Ḥusayn ibn Muḥammad al-Rāghib. (2007). *Al-Dharī'ah ilā makārim al-sharī'ah* (Abū al-Yazīd Abū Zayd al-'Ajamī, Ed.). Dār al-Salām.
- [4] Al-'Awwādī, 'Abd Allāh ibn 'Abduh. (2018). *Rawḍat al-'ābidīn* (1st ed.). Maktabat al-Jīl al-Jadīd.
- [5] Al-'Ayd, Nawāl 'Abd al-'Azīz. (1441 AH). *Mawsū'at sharḥ asmā' Allāh al-ḥusnā* (1st ed.).
- [6] Al-Badrānī, Abū Fayṣal. (n.d.). *Fiqh al-ibtilā' wa-aqdār Allāh al-mu'limah*.
- [7] Al-Badrānī, Abū Fayṣal. (n.d.). *Shifā' al-ḍarar bi-fahm al-tawakkul wa-al-qadā' wa-al-qadar*.
- [8] Al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā'il. (1311 AH). *Al-Ṣaḥīḥ* (Ṣaḥīḥ al-Bukhārī). Al-Maṭba'ah al-Kubrā al-Amīriyyah.
- [9] Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad ibn Muḥammad al-Ṭūsī. (n.d.). *Iḥyā' 'ulūm al-dīn*. Dār al-Ma'rifah.
- [10] Al-Ḥamlāwī, 'Umar al-'Arabāwī. (1984). *Kitāb al-Tawḥīd al-musammā bi-al-takhallī 'an al-taqlīd wa-al-taḥallī bi-al-aṣl al-mufīd*. Maṭba'at al-Warrāqah al-'Aṣriyyah.
- [11] Al-Hilāl, Muḥammad. (2022). *Tafsīr al-Qur'ān al-tharī al-jāmi' fī al-i'jāz al-bayānī wa-al-lughawī wa-al-'ilmī* (1st ed.). Dār al-Mi'rāj & Dār Jawāmi' al-Kalim.
- [12] Al-Majlis al-A'lā li-al-Shu'ūn al-Islāmiyyah. (n.d.). *Mawsū'at al-mafāhīm al-Islāmiyyah al-'āmmah*. Al-Majlis al-A'lā li-al-Shu'ūn al-Islāmiyyah.
- [13] Al-Naḥlāwī, 'Abd al-Raḥmān. (2007). *Uṣūl al-tarbiyah al-Islāmiyyah wa-asālībuhā fī al-bayt wa-al-madrasah wa-al-mujtama'* (25th ed.). Dār al-Fikr.
- [14] Al-Qushayrī, 'Abd al-Karīm ibn Hawāzin. (n.d.). *Al-Risālah al-Qushayriyyah* ('Abd al-Ḥalīm Maḥmūd & Maḥmūd ibn al-Sharīf, Eds.). Dār al-Ma'ārif.

- [15] Al-Rāzī, Fakhr al-Dīn Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn ‘Umar. (1420 AH). *Maḥāṣin al-ghayb (Al-tafsīr al-kabīr)* (3rd ed.). Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī.
- [16] Al-Sa’dī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Nāṣir. (2000). *Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān (Tafsīr al-Sa’dī)* (‘Abd al-Raḥmān ibn Mu‘allā al-Luwayḥīq, Ed.; 1st ed.). Mu’assasat al-Risālah.
- [17] Al-Sa’dī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Nāṣir. (n.d.). *Al-Tanbīhāt al-laṭīfah fīmā ihtawat ‘alayhi al-Wāsiṭiyyah min al-mabāḥith al-manīfah*.
- [18] Al-Samalūṭī, Nabīl. (1998). *Binā’ al-mujtama’ al-Islāmī* (3rd ed.). Dār al-Shurūq li-al-Nashr wa-al-Tawzī’ wa-al-Ṭibā’ah.
- [19] Al-Ṭabarī, Abū Ja’far Muḥammad ibn Jarīr. (2001). *Jāmi’ al-bayān ‘an ta’wīl āy al-Qur’ān (Tafsīr al-Ṭabarī)* (‘Abd Allāh ibn ‘Abd al-Muḥsin al-Turkī, Ed.; 1st ed.). Dār Hijr li-al-Ṭibā’ah wa-al-Nashr.
- [20] Al-Tamīmī, Muḥammad ibn Khalīfah ibn ‘Alī. (2018). *Nahj al-wuṣūl ilā ḥaqīqat maḥabbat al-Rasūl ṣallā Allāhu ‘alayhi wa-sallam* (‘Abd al-Jabbār ibn ‘Azīm Āl Mājīd, Ed.; 1st ed.). Dār al-Amājīd & Dār al-Nāshir al-Mutamayyiz.
- [21] Al-Tamīmī, Muḥammad ibn Khalīfah ibn ‘Alī. (2023). *Maḥāsīn al-tawḥīd wa-irtibāṭuhā bi-arkān al-īmān* (1st ed.). Dār al-Lu’lu’ah & Dār al-Muhadhdhab.
- [22] Al-Tirmidhī, Abū ‘Īsā Muḥammad ibn ‘Īsā ibn Sawrah. (1975). *Al-Jāmi’ (Sunan al-Tirmidhī)* (Aḥmad Muḥammad Shākir, Muḥammad Fu’ād ‘Abd al-Bāqī, & Ibrāhīm ‘Aṭwah ‘Awḍ, Eds.; 2nd ed.). Sharikat Maktabat wa-Maṭba’at Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī.
- [23] Al-Tuwayjirī, Muḥammad ibn Ibrāhīm ibn ‘Abd Allāh. (n.d.). *Mawsū’at fiqh al-qulūb*. Bayt al-Afkār al-Duwaliyyah.
- [24] Al-Zayd, ‘Abd al-Raḥmān ibn ‘Abd al-Karīm. (2004). *Waqafāt ma’a aḥādīth tarbiyat al-Nabī ṣallā Allāhu ‘alayhi wa-sallam li-ṣaḥābatih. Majallat al-Jāmi’ah al-Islāmiyyah bi-al-Madīnah al-Munawwarah*, 36(112).
- [25] Bey Zekkoub, Abdelali., Suliaman, Khaled Nabawi., Annajr, Yaser. (2026). *Etiquettes Of Tawakkul In Scientific Research Writing: A Linguistic and Thematic Qur’ānic Study*. Ijaz Arabi: Journal of Arabic Learning, 9 (2), 705-724, DOI: <https://doi.org/10.18860 /ijazarabi.V9i2.35038>
- [26] Ḍayf, Shawqī. (n.d.). *Al-baḥth al-adabī: Ṭabī’atuh wa-manāḥijuh wa-uṣūluh wa-maṣādiruh* (7th ed.).

- [27] Ibn al-Farrā', Abū Ya'lā Muḥammad ibn al-Ḥusayn. (2014). *Al-tawakkul* (Yūsuf ibn 'Alī al-Ṭarīf, Ed.; 1st ed.). Dār al-Maymān li-al-Nashr wa-al-Tawzī'.
- [28] Ibn 'Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. (1984). *Al-Taḥrīr wa-al-tanwīr*. Al-Dār al-Tūnisiyyah li-al-Nashr.
- [29] Ibn Ḥanbal, Aḥmad ibn Muḥammad. (2001). *Al-Musnad (Musnad al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal)* (Shu'ayb al-Arnā'ūt, 'Ādil Murshid, et al., Eds.; 1st ed.). Mu'assasat al-Risālah.
- [30] Ibn Kathīr, Abū al-Fidā' Ismā'īl ibn 'Umar al-Qurashī al-Dimashqī. (1999). *Tafsīr al-Qur'ān al-'Azīm (Tafsīr Ibn Kathīr)* (Sāmī ibn Muḥammad al-Salāmah, Ed.; 2nd ed.). Dār Ṭayyibah li-al-Nashr wa-al-Tawzī'.
- [31] Ibn Kathīr, Abū al-Fidā' Ismā'īl ibn 'Umar al-Qurashī al-Dimashqī. (1986). *Al-Bidāyah wa-al-Nihāyah*. Dār al-Fikr.
- [32] Ibn Qāsim, 'Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad. (1996). *Al-Durar al-saniyyah fī al-ajwibah al-Najdiyyah: Majmū'at rasā'il wa-fatāwā 'ulamā' Najd al-a'lām* (6th ed.).
- [33] Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Shams al-Dīn Abū 'Abd Allāh Muḥammad ibn Abī Bakr. (1996). *Madārij al-sālikīn bayna manāzil iyyāka na'budu wa-iiyāka nasta'īn* (Muḥammad al-Mu'taṣim Billāh al-Baghdādī, Ed.; 3rd ed.). Dār al-Kitāb al-'Arabī.
- [34] Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Shams al-Dīn Abū 'Abd Allāh Muḥammad ibn Abī Bakr. (n.d.). *Ighāthat al-lahfān fī maṣāyid al-shayṭān* (Muḥammad Ḥāmid al-Fiqī, Ed.). Maktabat al-Ma'ārif.
- [35] Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Shams al-Dīn Abū 'Abd Allāh Muḥammad ibn Abī Bakr. (1990). *Al-tafsīr al-qayyim (Tafsīr al-Qur'ān al-karīm li-Ibn al-Qayyim)* (Maktab al-Dirāsāt wa-al-Buḥūth al-'Arabiyyah wa-al-Islāmiyyah, Ed.; 1st ed.). Dār wa-Maktabat al-Hilāl.
- [36] Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Shams al-Dīn Abū 'Abd Allāh Muḥammad ibn Abī Bakr. (2019). *Al-dā' wa-al-dawā'* (Muḥammad Ajmal al-Iṣlāhī, Ed.; 4th ed.). Dār 'Aṭā'āt al-'Ilm & Dār Ibn Ḥazm.
- [37] Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Shams al-Dīn Abū 'Abd Allāh Muḥammad ibn Abī Bakr. (2019). *Miftāḥ dār al-sa'ādah wa-manshūr wilāyat al-'ilm wa-al-irādah* ('Abd al-Raḥmān ibn Ḥasan ibn Qā'id, Ed.; 3rd ed.). Dār 'Aṭā'āt al-'Ilm & Dār Ibn Ḥazm.

- [38] Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Shams al-Dīn Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn Abī Bakr. (1974). *Ṭarīq al-hijratayn wa-bāb al-sa‘ādatayn* (2nd ed.). Al-Dār al-Salafiyyah.
- [39] Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Shams al-Dīn Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn Abī Bakr. (n.d.). *Badā’i‘ al-fawā’id*. Dār al-Kitāb al-‘Arabī.
- [40] Ibn Taymiyyah, Taqī al-Dīn Abū al-‘Abbās Aḥmad ibn ‘Abd al-Ḥalīm. (1987). *Al-fatāwā al-kubrā li-Ibn Taymiyyah* (1st ed.). Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- [41] Ibn Taymiyyah, Taqī al-Dīn Abū al-‘Abbās Aḥmad ibn ‘Abd al-Ḥalīm. (2005). *Al-‘ubūdiyyah* (Muḥammad Zuhayr al-Shāwīsh, Ed.; 7th ed.). Al-Maktab al-Islāmī.
- [42] Ibn Taymiyyah, Taqī al-Dīn Abū al-‘Abbās Aḥmad ibn ‘Abd al-Ḥalīm. (n.d.). *Dar’ ta‘ārūḍ al-‘aql wa-al-naql* (Muḥammad Rashād Sālim, Ed.). Jāmi‘at al-Imām Muḥammad ibn Sa‘ūd al-Islāmiyyah.
- [43] Khayr, Fāṭimah Muḥammad. (1998). *Manhaj al-Islām fī tarbiyat ‘aqīdat al-nāshi’* (1st ed.). Dār al-Khayr.
- [44] *Majallat al-Bayān*. (2005). Al-Muslim wa-ta’thīrāt al-īmān al-nafsiyyah. *Majallat al-Bayān*, 210.
- [45] Muslim ibn al-Ḥajjāj al-Qushayrī al-Naysābūrī. (1388 AH). *Ṣaḥīḥ Muslim* (M. F. ‘Abd al-Bāqī, Ed.). Maṭba‘at ‘Isā al-Bābī al-Ḥalabī.
- [46] Zahrān, Ḥāmid ‘Abd al-Salām. (n.d.). *Al-Tawjīh wa-al-irshād al-naḥṣī* (3rd ed.). ‘Ālam al-Kutub..

TRANSLITERATION

a. Consonant

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
ء	‘	فَأَرْ	fārun
أ	(a,i,u)	أَحْكَام	aḥkām
ب	b	بَابُ	bābun
ت	t	تَمْرٌ	tamr
ث	th	ثَلَاثُ	thalātha
ج	j	جَبَلٌ	Jabal
ح	ḥ	حَدِيثٌ	ḥadīth
خ	kh	خَالِدٌ	khālīd
د	d	دِينٌ	dīn
ذ	dh	مَذْهَبٌ	madhhab
ر	r	رَاهِبٌ	rāhib
ز	z	زَكِيٌّ	zakī
س	s	سَلَامٌ	salām
ش	sh	شَرَبٌ	sharaba
ص	ṣ	صَدْرٌ	ṣodrun
ض	ḍ	ضَارٌ	ḍār
ط	ṭ	طَهْرٌ	ṭahura
ظ	ẓ	ظَهْرٌ	ẓohr
ع	‘	عَبْدٌ	‘abdun
غ	gh	غَيْبٌ	ghayb
ف	f	فَاتِحَةٌ	Fātihah
ق	q	قَبَسٌ	qabas
ك	k	كِتَابٌ	kitāb

ل	l	لَيْلٌ	layl
م	m	مُنِيرٌ	munīr
ن	n	نِقَابٌ	niqāb
و	w	وَعَدٌ	wa ^c ada
هـ	h	هَدَفٌ	hadaf
ي	y	يُوسُفُ	Yūsuf

b. Short Vowel

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
اَ	a	كَتَبَ	kataba
اِ	i	عَلِمَ	‘alima
اُ	u	غُلِبَ	ghuliba

c. Long Vowel

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
اَ ، اِ ، اِوْ	ā	عَالَمٌ ، فَتَى	‘ālam , fatā
اِي	ī	عَلِيمٌ ، دَاعِي	‘alīm , dā‘ī
اُو	ū	عُلُومٌ ، أُدْعُو	‘ulūm , ‘ud‘ū

d. Diphthong

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
أَوْ	aw	أَوْلَادٌ	aulād
أَيَّ	ay	أَيَّامٌ	ayyam
إِيَّ	iy	إِيَّاتُكَ	iyyāka